الفصل الثاني

نصوص حالات الدراسة

- الحالة الأولى : بائع (منشية ناصر).
- الحالة الثانية : بائع (الشرقية).
- الحالة الثالثة : بائع (الإمام الشافعي .
- الحالة الرابعة : بائعة (الفيوم) .
- الحالة الخامسة : بائع (اسوان).
- الحالة السادسة : متبرع (الجمالية) .
- الحالة السابعة : مسروق (بورسعيد) .
- الحالة الثامنة : وسيط (منشية ناصر) .
- الحالة التاسعة : وسيط (منشية ناصر) .
- الحالة العاشرة : بائع + وسيط (منشية ناصر) .
- الحالة الحادية عشر : إخبارية (مصر الجديدة) .
- الحالة الثانية عشر : إخباري (مصر الجديدة) .
- الحالة الثالة عشر : إخباري (مصر الجديدة) .

تمهيد:

نحاول من خلال هذا الفصل تقديم المادة الخام للدراسة الاستطلاعية عبر المقابلات التى تمت بين الباحث وحالات الدراسة والتى تنوعت بين بائعين ومتبرعين ومسروقين، ثم الوسطاء، واخيراً الإخباريين، ومن خلال قراءة نصوص حالات الدراسة الخام يستطيع القاريء أن يشكل رؤية عامة حول الظاهرة ، تساعده على فهم عمليات التحليل والتفسير التى خرج بها الباحث فى الفصول التالية، بل يمكن من خلال قراءة هذه المادة الخام أن يستنتج اشياء أخرى لم يتمكن الباحث من استنتاجها اثناء عملية التحليل والتفسير.

الحالة الأولى (منشية ناصر - القاهرة - بائع)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: فارس

السن: ٥٠ سنة

الحالة التعليمية: يقرأ ويكتب

المهنة: قهوجي

الحالة الاجتماعية: أعزب

ثانيًا: الأصول والنشأة والظروف:

ولد فارس عويس بمنطقة قايتباي المعروفة تاريخية بمنطقة صحراء المماليك، الظهير الصحراوي للقاهرة الفاطمية، والتي كانت قبل عام ١٩٩٣ إحدى شياخات حي الجمالية العريق، وأصبحت منذ ذلك التاريخ إحدى شياخات حي منشية ناصر العشوائي العتيد.

وهذه المنطقة تعرف الآن بأنها منطقة مقابر المجاورين والخفير، والمنطقة تتنوع بها أنماط السكن العشوائي، ولكن يمكن حصرها في ثلاثة أنواع رئيسية هي: النمط الأول يسمى بمنطقة شواهد المقابر، وهو أدنى أنواع السكن العشوائي حيث يفتقد لأي شكل من أشكال الحياة، لا مباني ولا مرافق. والنمط الثاني يمسى منطقة أحواش المقابر وهو أفضل حالاً من النمط الأول حيث تتوافر به بعض مظاهر الحياة، بعض المباني وبعض المرافق. والنمط الثالث يعرف بمنطقة مساكن المقابر وهو عبارة عن بيوت عشوائية داخل منطقة المقابر، وهذا النمط بالطبع أفضل حالاً من النمطين الآخرين.

ولد فارس لأب جاء من إحدى قرى صعيد مصر وهي قرية الحومة مركز الوسطى محافظة بني سويف، وأبناء تلك القرية نزحوا إلى القاهرة وأقاموا على أطرافها في هذه المنطقة منذ عقود عديدة، وهذه المنطقة العشوائية محاطة بالمقابر من كافة الاتجاهات، فهي أشبه بالجزيرة مع فارق وحيد أن الجزيرة تكون محاطة بالماء، أما هذه المنطقة فهي محاطة بالمقابر ويعيش فيها آلاف من البشر، وتقع على بعد أمتار قليلة من سفح جبل المقطم ما بين طريقي صلاح سالم والأوتوستراد. حين نزح إليها الأب كان غالبية سكانها يعملون في مهنتين فقط هما: دفن الموتى وحراسة قبورهم، وصناعة الحرير والصوف والقطن يدويًا، وكان هناك من يجمع بين المهنتين باعتبار الأولى وهي دفن الموتى وحراسة القبور ليست عملاً يوميًا، بل نشاط غير منتظم ينشط في الأعياد الدينية وبعض المناسبات في الشهور الهجرية كمطلع شهر رجب ومنتصف شعبان ويوم عاشوراء، عندما يأتي أهالي الموتى لزيارة القبور، فيغدقون بعض صدقاتهم على أصحاب هذه المهنة وسكان المنطقة، وعلى الرغم من ذلك رفض الأب العمل بأي من المهنتين على الرغم من أن غالبية أقاربه وأبناء قريته يعملون في هاتين المهنتين سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا.

وبالفعل التحق الأب بالعمل في مهنة الطباعة وفي البداية عمل بمطبعة محمد صبيح بمنطقة الأزهر، تعلم فيها الصنعة. ثم انتقل بعد ذلك للعمل في وظيفة مطبعجي بالمطابع الأميرية بالقاهرة. وكان الأب قد تعدلت أحواله واستطاع بناء بيت بمنطقة المقابر مكون من طابقين لذلك فكر في الزواج، وبالفعل تزوج من إحدى قريباته وأنجب منها خمسة أبناء جميعهم من الذكور. ولكنه كان دائم الشجار مع زوجته، وهو ما اضطره إلى السفر لقريته للبحث عن زوجة جديدة. وكانت هذه المرة إحدى بنات قريته يتيمة وفقيرة وجاءت معه إلى القاهرة وأقامت في نفس المنزل. وبعد عدة شهور أنجبت له ولدًا هو فارس. وأخذت الزوجة الأولى وأبناؤها يختلقون لها أشكالاً من الشجار والمشاكل أدت في النهاية إلى تطليق الأب للأم وطردها هي وطفلها الرضيع فارس خارج المنزل. ولم تجرؤ الأم على العودة

إلى القرية، فلم تجد غير منزل أحد أقاربها من سكان أحواش المقابر أقامت عنده لفترة قصيرة ثم استطاعت أن تحصل على عمل في مجال دفن الموتى ورعاية المقابر وحراستها. وقام الأب بالزواج مرة ثالثة أنجب طفلاً آخر ثم قام بتطليق الزوجة الجديدة وعاد للزوجة الأولى وأبنائها. وتكررت العملية مع زوجة رابعة ولكنها لم تنجب هذه المرة وخرجت كغيرها دون عودة.

أما أم فارس فقد تزوجت من رجل بسيط من سكان منطقة المقابر يعمل عامل بناء لأحواش المقابر، واستقر فارس مع أمه وزوجها في أحد أحواش المقابر وأنجبت من زوجها الجديد ستة أبناء ثلاثة ذكور وثلاثًا من الإناث.

نشأ فارس في بيت زوج أمه وكان رجلاً طيب القلب، أحب فارس كثيرًا واستطاعت الأم أن تفرض سيطرتها عليه واعتبر فارس أحد أبنائه، وعلى الرغم من أن الأب كان يعيش في بيت على مقربة من ذلك الحوش الذي يقطنه أبنه إلا أنه لم يكن يسأل عنه، وعندما يراه في الشارع يتجاهل رؤيته، ونفس الأمر بالنسبة لأخواته من أبيه. في حين كان لأم فارس دور مهم في مد جسور المحبة بين فارس وأبنائها. ونشأ فارس منتميًا لهذه الأسرة ودخل المدرسة الابتدائية، وبالطبع كانت الظروف الاقتصادية قاسية للغاية ولم تكن تسمح بالرعاية المطلوبة؛ لذلك كان فارس متعثرًا دراسيًا لأنه ومنذ نعومة أظافره اضطر إلى الخروج لسوق العمل ككل أطفال منطقته. فبجانب المدرسة كان يعمل بمصنع للنسيج اليدوي بنفس منطقة المقابر، وذلك لمساعدة أمه وزوجها على مصاعب الحياة. وظل فارس في المدرسة حتى نهاية المرحلة الابتدائية التي رسب فيها مرتين قبل أن تقرر الأم وزوجها تركه للمدرسة نهائيًا والانخراط في العمل بشكل دائم. وبالفعل خرج فارس لسوق العمل مبكرًا وكان يتقاضى ثلاثة جنيهات في الأسبوع في عام ١٩٧٢ كان يومها لم يتجاوز عامه الثالث عشر.

وتدرج فارس في هذه المهنة حتى أصبح أسطى يجيد فنون الصنعة ولم يكن قد تجاوز بعد عامه العشرين، وفي نفس التوقيت كان إخوته من أبيه قد تركوا

جميعًا المدرسة وانخرطوا في مهن مختلفة في صناعة النسيج والنجارة والطباعة. وبالطبع كانت هناك فجوة ومسافة كبيرة بينه وبينهم. أما إخوته من أمه فقد استطاع الكبير منهم الحصول على دبلوم صنايع وتمكن من الحصول على وظيفة بشركة الحديد والصلب، أما الثاني فقد خرج مبكرًا من التعليم والتحق بالعمل في ورشة ميكانيكا سيارات، والثالث وصل إلى الجامعة وكان يدرس الشريعة والقانون ولكنه تعثر وترك الجامعة ولم يجد غير العمل في مجال صناعة النسيج، وانتقل بعد ذلك للعمل كقهوجي. أما البنات فالأولى والثانية حصلتا على الثانوية الأزهرية وتركتا بعد ذلك الدراسة وتزوجتا. وأما الثالثة فقد تركت الدراسة مبكرًا في المرحلة الاعدادية وتعمل الآن بائعة في محل ملابس بمنطقة الغورية.

مرت الحياة بفارس في ظل ظروف اقتصادية قاسية، سكن متواضع للغاية عبارة عن حوش به حجرتان للنوم والمعيشة معًا، وهذا إلى جانب دورة مياه (طرنش) تنزح كل فترة، وبالطبع لا توجد مياه ولا كهرباء، وبعد سنوات طويلة تمكنوا من توصيل الكهرباء فقط، أما المياه فيحصلون عليها من حنفية مياه عمومية في الماضي ومن حوش مجاور في الوقت الراهن.

وظل فارس يعمل في صناعة النسيج بشكل منتظم حتى منتصف الثمانينيات وكان عمره قد تجاوز الخامسة والعشرين، واصبح أسطى يعمل تحت يديه صبيان. ورغم ذلك كان إجمالي ما يتقاضاه أسبوعيًا لم يتجاوز الخمسين جنيهًا. وكان يسهم بالجزء الأكبر منها في مصاريف البيت. فكان يعطي أمه ثلاثين جنيهًا أسبوعيًا وكان يأخذ مصروفًا يوميًا جنيهين يأكل ويشرب منها ويدخن السجائر، ويوم العطلة يأخذ خمسة جنيهات للخروج مع أصدقائه والجلوس على المقهى ودخول السينما في بعض الأحيان.

كان فارس محبوبًا من إخوته لأمه جميعهم لأنه كان يغدق عليهم من دخله البسيط، وصارت الحياة بفارس حتى أصبح عمره يقترب من الثلاثين دون أمل في خطوبة أو زواج، وفي هذه الأثناء تمت خطوبة أخته لأمه وكذلك قام أخوه الذي

يعمل بشركة الحديد والصلب بالخطوبة أيضًا وهو ما جعل فارس يفكر كثيرًا في نفسه وفي وضعه. وحين بدأ فارس يفكر في أحواله كانت صنعته تتراجع وتتدهور بشكل سريع. ففي أحد أيام صيف عام ١٩٨٨ قام صاحب المصنع بإغلاقه ووجد فارس وزملاؤه في العمل أنفسهم في مهب الريح حيث أصبح الشارع هو مصيرهم، وأخذ فارس يبحث عن مصنع آخر ولكن للأسف الشديد كان كثير من أصحاب هذه الصناعة اليدوية قد أغلقوا مصانعهم نتيجة لكساد هذه الصناعة، وعرف فارس لأول مرة في حياته طريقه إلى البطالة والجلوس بالشهور دون عمل، وهو ما جعل أمه تطالبه بالبحث عن عمل آخر. وكانت هناك صعوبة أن يتعلم صنعة جديدة بعد أن اقترب من عامة الثلاثين، وبعد طول عناء حصل فارس على فرصة عمل في مقهى بلدي بمنطقة السيدة عائشة وكان يحصل على عشرة جنيهات يوميًا ارتفعت مع الوقت حتى وصلت إلى خمسة عشر جنيهًا ورغم ذلك لم تكن تكفي فارس لكي يقدم على خطوة الزواج. ونظرًا لحالته النفسية قامت أمه بخطبة ابنه الجيران له على أمل أن يساعده أخوه الذي كان يعمل بشركة الحديد والصلب، ثم سافر إلى السعودية في إتمام عملية الزواج لكن الشركة انهت عقد أخيه وعاد إلى القاهرة وانفصل عن الأسرة بزواجه وكان فارس قد قارب عامه الخامس والثلاثين وفشلت الخطبة بسبب الظروف الاقتصادية السيئة.

ثالثًا: عملية البيع وتداعياتها:

كان فارس في أحيان كثيرة يتشاجر مع صاحب المقهى ويترك العمل ويجلس بالأيام والأسابيع في البيت دون عمل، وفي ظروف نفسية سيئة فهو يرى الجميع يتقدم أما هو فقد تزوج كل إخوته من أبيه حتى من يصغره في السن وبدأ إخوته من أمه يتزوجون أيضًا.

وفي أحد أيام يناير ١٩٩٦ كان قد تشاجر مع صاحب المقهى وجلس بالبيت، وحضر أحد أصدقائه للسؤال عنه وكان صديقه هذا يعمل سائق تاكسي. وأخذ فارس يحدثه عن الظروف السيئة والحالة المتدهورة وأن كل الأبواب قد أغلقت في

وجهه وحاول أكثر من مرة البحث عن فرصة للسفر لكن دون جدوى أقسم له أن الموت أفضل من هذه الحياة التي هي كالموت أو أشد قسوة، وأثناء الحديث طلب من صديقه أن يبحث له عن عمل أو فرصة سفر أو أي شيء.

وبعد عدة أيام جاءه صديقه يحمل بشرى سارة قال له هناك فرصة ذهبية يمكن أن تؤمن لك مستقبلك ولكنها تحتاج إلى قدر من المجازفة، اعتقد فارس في البداية أن الموضوع فيه حاجة غلط يعني سرقة أو مخدرات أو آثار أو ما شابه ذلك، لكن صديقه لم يمهله كثيرًا حيث أكد له أن مفيش حاجة غلط ولا أي كلام من ده، عندي واحد معرفة ساكن في عباس العقاد في مدينة نصر وحالته الصحية تعبانة عنده فشل كلوي وعايز حد يكون ابن حلال يتبرع له بكلية وده عمل إنساني ثوابه عند ربنا كبير وهو راجل مستريح وربنا فاتح عليه وهيدفع مبلغ كويس على سبيل المكافأة لابن الحلال اللي هيعمل العمل الإنساني ده.. وأنت لو اتبرعت له هتكون عملت عمل كبير عند ربنا هتنقذ إنسان من الموت.. وفي نفس الوقت هتحل كل مشاكلك.

وفارس كان كالغريق الذي يبحث عن قشة للإنقاذ، قال على الفور ودون أدنى تفكير أنا موافق، وشوف أمتى نقابل الراجل ونعمل العملية، قال له صديقه أمهلني يومين لتدبير الأمر، وبالفعل بعد يومين كان قد حضر صديقه واخبره بأن الرجل سوف يدفع ثلاثين ألف جنيه، وبالطبع كان هذا المبلغ بالنسبة لفارس ثروة وهبطت عليه من السماء ووافق على الفور وبدأ يسأل عن متى يذهب لإجراء العملية. بدأ صديقه في ترتيب كل الأمور حيث قابل فارس بوالد المريض واستخدم التاكسي الذي يعمل عليه للانتقالات وقام بالذهاب إلى مستشفى الجنزوري بجسر السويس وقاموا بعمل التحاليل والفحوصات اللازمة واستمرت هذه المرحلة ما يقرب من ثلاثة أسابيع حتى قرر الأطباء صلاحية فارس لإجراء العملية وكان فارس خلال هذه الفترة يقوم بتخزين البول الذي يتبوله في جركن ثم يقدمه يوميًا إلى الأطباء في المستشفى ويقدمون له بعض الأدوية التي يتناولها سرًا دون علم أفراد أسرته.

وفي أحد أيام شهر مارس ١٩٩٦ تحدد يوم إجراء العملية وكان على فارس أن يختلق حجة من أجل الغياب عن البيت فاضطر أن يكذب على أمه وإخوته ويخبرهم بأنه وجد عملاً في مدينة الاسكندرية وأنه سوف يذهب مع صديقه صاحب التاكسي لاستلام العمل، وبالفعل نجحت الحيلة ودخل فارس المستشفى وقاموا بأخذ تعهد كتابي وقام بإجراء العملية وظل بالمستشفى لمدة أسبوعين، ثم قرر الأطباء خروجه وكانت حالته الصحية لم تستقر بعد وكان وجهه شاحبًا فاضطر إلى الذهاب لمنزل صديقه وظل هناك لمدة أسبوعين آخرين وكان عند خروجه من المستشفى قد أخذ من والد المريض المبلغ المتفق عليه بالكامل، ولم يلتق بعد ذلك بأهل المريض حتى يومنا هذا.

كان فارس خلال فترة إقامته مع صديقه يتولى هذا الصديق كل مصاريف فارس حتى ثمن الأدوية وهو ما جعل فارس في موقف محرج حيث عرض عليه أن يأخذ جزءًا من المبلغ لكن صديقه رفض رفضًا قاطعًا، إلا أن فارس بعد عدة سنوات من إجراء العملية اكتشف أن صديقه هذا يعمل كوسيط في مثل هذه العمليات وأنه قد تقاضى مبلغ عشرة آلاف جنيه من والد المريض الذي قام فارس بالتبرع له بكليته ولكن صديقه الوسيط هذا مات بعد سنوات في حادث انقلاب سيارة.

أما بالنسبة لأهل فارس فلم يكن أحد يعرف أي شيء عن الموضوع وحين عاد إلى المنزل أخبرهم بأنه لم يوفق في عمله بالإسكندرية وخلال سفره شعر بتعب واضطر إلى الذهاب إلى المستشفى وقام بإجراء عملية الزائدة، لذلك كان يضطر إلى أن يأخذ بعض الأدوية بصورة شبة دائمة، وظل لعدة شهور لا يعرف ماذا سيفعل بالنقود فقد فتح دفتر توفير في مكتب بريد الدراسة أودع به المبلغ ولم يجرؤ على أن يخبر أحد من أهله بهذا الموضوع، وفي هذه الأثناء كان أخوه الميكانيكي قد ترك صنعته واستخرج رخصة قيادة ويعمل كسائق تاكسي وكان دائمًا يتحدث عن مكسب صاحب السيارة وأنه يتمنى لو توافرت لديه نقود من أجل شراء سيارة. وهنا اختمرت الفكرة في رأس فارس يشتري تاكسي ويقوم أخوه

بقيادته، فقرر أن يبحث عن حيلة لكي يفاتحه في موضوع شراء التاكسي، وخلال استغراقه في التفكير عن حيلة حدثت واقعة عجلت بالموضوع، كان فارس حريصًا ألا يخلع ملابسه أمام أي شخص من عائلته ولكنه ولسوء حظه في أحد أيام صيف ١٩٩٦ كان نائمًا وانكشف عنه ملابسه فشاهده أخوه الأصغر الذي يدرس الشريعة والقانون وعندما استيقظ من النوم أخذ يسأله عن عملية الزائدة وكيف تمت العملية وفي أي مستشفى في الإسكندرية قام بإجرائها، وحين حاول فارس الهروب من الأسئلة كان أخوه قد أبلغ أمه بالموضوع وأن الجراحة التي تمت ليست للزائدة ولكنها جراحة كبيرة قد تكون المستشفى قد سرقت أحد أعضاء أخيه، وأمام هذه الأسئلة والاتهامات اضطر فارس إلى الاعتراف بالموضوع برمته، وبالطبع قام إخوته وأمه بتوبيخه وغضبوا منه جميعًا وبعد أيام أصبح فارس بإمكانه الحديث إلى أخيه باستثمار النقود في شراء تاكسي، وبالفعل تم شراء تاكسي مستعمل قام أخوه بقيادته، ولكن دائمًا لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن فقد كانت أعطال التاكسي كثيرة وهو ما أدى إلى إثارة العديد من المشكلات بينه وبين أخيه الذي قرر في النهاية أن يترك لفارس التاكسي وهو ما اضطره إلى أن يبحث عن سائق آخر ولكن ما حدث مع أخيه حدث مع كل سائق كان يحضره، الأمر الذي دفعه في النهاية إلى بيع التاكسي بأبخس الأثمان، وجلس في البيت يصرف من حصيلة البيع حتى نفذت النقود، واضطر فارس إلى العودة مرة أخرى للبحث عن فرصة عمل فلم يجد أمامه إلا العودة للعمل في مقهى جديد.

رابعًا: نتائج عملية البيع:

يؤكد فارس أنه وبعد مرور ثلاثة عشر عامًا على إجراء هذه العملية يرى أن هناك دوافع كثيرة هي التي قادته وتقود كثير من الشاب إلى هذا المصير، فهو يرى يوميًا كثيرًا من الشباب يفكر في بيع أجزاء من جسمه نتيجة الظروف الاقتصادية السيئة. «يعني في أحيان كثيرة أجد شباب زي الفل بيسأل عن حد يشتري منه كلية وكأن معاه بضاعة وعايز يلزقها لأي حد، وطبعًا البضاعة بايرة مش لاقية حد

يأخذها، طبعا عملية البيع والشراء مش سهلة زي ما الناس فاكرة.. ده تجارة ليها ناسها، أنا طبعًا عرفت ده بالصدفة عن طريق صديقى اللي كان بيشتغل وسيط في مثل هذه العمليات دون علمي، وطبعًا هو اللي جاب رجلي بصنعة لطافة استغل حاجتي وظروفي الوحشة ولعب على الوتر ده وجاب نتيجة»

وعن أخبار صحة فارس قال «والله ساعات كتير بتعب وأروح للدكتور ومرة رحت للدكتور أيمن في العيادة حولني على مستشفى الحسين عملت إشاعة وتحاليل وقالي كليتك تعبانة ونسبة الصديد على الكلى عالية وبأخذ علاج وخلاص، وطبعًا الكلية الواحدة غير الكليتين ربنا لو مش عارف أن الكليتين مهمين مكنش خلقهم وكان خلق واحدة بس، وعلى فكرة ربنا مش بيبارك في الفلوس ده لأنها فلوس حرام وعشان كده راحت في ستين داهية، وعلى أي حال الحمد لله على كل شيء وربنا يسامحني على التفريط في نعمه.. ده الصحة أغلى حاجة في الدنيا، أهم حتى من كنوز الأرض بس محدش بيعرف غير بعد فوات الأوان.

الحالة الثانية: (الشرقية – بائع)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: محمد

السن: ٢٧ سنة

الحالة التعليمية: بكالوريوس تربية

المهنة: موظف بشركة كيماويات

الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول

الأبناء: ابنة واحدة

ثانيًا: الأصول والنشأة والظروف:

ولد محمد بمنزل قديم قابع بأحد الأزقة الضيقة المتفرعة من شارع فاروق أحد أشهر الشوارع بمدينة الزقازيق محافظة الشرقية، ويتسم الشارع التجاري بالعشوائية الشديدة، والمنزل عبارة عن بناية متهالكة تتكون من طابقين وتشبه إلى حد كبير البيوت الريفية مظهرًا وجوهرًا، فالمنزل تم بناؤه منذ عقود عديدة ماضية بمواد بناء بدائية يغلب عليها الحجارة والأخشاب، والطابق الأرضي به حجرة واحدة لاستقبال الضيوف بها بعض المقاعد الخشبية ودورة مياه كعادة أهل الريف وباقي الطابق الأرضي عبارة عن صحن متسع لتربية الدواجن والطيور بالإضافة إلى فرن للخبيز، أما الطابق العلوي فيتكون من ثلاث حجرات للنوم والمعيشة، هذا إلى جانب حجرة لإعداد الطعام ودورة مياه.

وكان والد محمد مزارعًا بسيطًا لم يتلق أي قدر من التعليم، وينحدر من أسرة يعمل جميع أفرادها بالزراعة، وكان لديهم خمسة أفدنة حصلوا عليها من الإصلاح الزراعي بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وتفتت بفعل الزمن والتوريث حيث أصبح والد محمد

يمتلك عدة قراريط أقل من فدان يقوم بزراعتها ويعيش من إيرادها، هذا بخلاف امتلاكه لبعض الماشية التي يقوم بتربيتها والاتجار فيها، ويقيم في منزل العائلة الكبير مع باقي أشقائه. وعندما يفكر أحد الأشقاء في الزواج يوفرون له حجرة خاصة للزفاف، أما المعيشة فتكون مشتركة مع باقي افراد العائلة الكبيرة، فالمأكل والمشرب يشترك فيه الجميع كعادة أهل الريف وهو ما يعرف بالأسرة الممتدة.

وحين فكر والد محمد في الزواج لم تكن الزوجة (أم محمد) من سكان الريف ولكنها كانت من سكان المدينة. تعرف عليها عن طريق أخيها الذي كان زميلاً له أثناء تأديته للخدمة العسكرية، وعندما طلبها للزواج رحب به كل أفراد أسرتها لكن كان لديهم طلب واحد وهو عدم إقامة عبد العال في بيت عائلته بالقرية بل لابد من توفير سكن داخل مدينة الزقازيق وبالقرب من بيت عائلة الزوجة، ذلك لأنها أصغر أبناء أسرتها وهى التي تقوم برعاية أمها وأبيها. وعلى الرغم من أن القرية التي يقيم بها هي قرية شيبة متاخمة للمدينة وظروف الحياة في القرية لا تقل في مستواها عن الحياة في ذلك الزقاق الضيق في الحي العشوائي بالمدنية إن لم تكن أفضل إلا أن أسرة الأم أصرت على طلبها. وكان على الأب أن يفاضل بين أمرين إما أن يرفض وتفشل الزيجة وإما يقبل ويحدث شرخ في علاقته بعائلته لأنه سوف يخرق عاداتها وتقاليدها. وبالفعل اختار الزوجة والحبيبة وبعد البحث عن مسكن مستقل في المدينة اقترح عليه والد الأم الإقامة معهم في بيتهم خاصة وأنهم يقيمون فيه بمفردهم بعد زواج كل الأبناء. وافق الأب وانتقل للعيش في ذلك البيت الذي ولد فيه محمد بعد ذلك، وعند الزفاف أعدت له حجرة جديدة للعيش بها مع عروسه.

واستمرت الحياة دون إزعاج، الأب يعمل بأرضه صباحًا ويعود في المساء إلى بيته الجديد بالمدينة وزوجته تكون في انتظاره تعد له طعامه وتغسل له ملابسه ويسكن إليها لتزيل كل عناء النهار. والجد والجدة يحبون الأب لحسن خلقه وتدينه ومعاملته الطيبة وكرمه، وجاء محمد ليملأ البيت سعادة وفرحًا، وقبل أن يكمل محمد عامه الثاني كان الجد قد توفى، وبعد عامين آخرين وقبل إتمامه لعامه

الرابع لحقت به جدته، وخيم الحزن على البيت خاصة وأن الأم والأب كانا يعشقان الجد والجدة، ولكنها إرادة الله.

وحاولت أم محمد أن تنجب أشقاء لمحمد إلا أن إرادة السماء أبت أن تمنحها ما تتمناه حيث أكد الأطباء عدم إمكانياتها لذلك، وحمد الأب والأم الله على نعمته لهما ورضيا بهذه النعمة الغالية (محمد)، وكانا يخافان عليه من الهواء الطائر، وحلما سويًا أن يتعلم محمد كي يعوض ما فاتهما، وبالفعل دخل محمد المدرسة الابتدائية وكانت معهدًا ازهريًا لكي يحفظ القرآن ويحفظه الله لهما، وكان طفلاً شديد الذكاء مما جعله يتفوق في سنواته الأولى على كل أقرانه وكان يحفظ أجزاء كبيرة من القرآن وهو ما جعله قريبًا من كل معلميه ومحط نظرهم واهتمامهم.

ولكن مرض والد محمد وأخذ يتحامل على نفسه كعادة فقراء المصريين حتى أصابه الوهن، وعندما ذهب إلى الأطباء وأجروا له الفحوصات والتحاليل والإشاعات اكتشفوا أنه مريض بالسرطان، والمرض اللعين قد أصاب أجزاء كبيرة من كبد الأب ولكن عليه أن ينتقل للقاهرة لتلقي جرعات من العلاج الكيماوي، واضطر والد محمد أن يبيع ما تبقى له من أرض وكانت مصدر رزقه الوحيد لكي يصرف على علاجه، وبعد عدة أشهر كانت حصيلة البيع قد تبددت وفي ذات الوقت أصبحت حالة الأب ميئوسًا منها، وبعد أقل من عام كان الأب قد مات ولم يكن محمد قد تجاوز عامه التاسع بعد، وكان لا يزال في الصف الرابع الابتدائي. اضطرت الأم إلى الخروج للعمل كي تكفل ولدها الوحيد حتى يتمكن من مواصلة تعليمه، ونظرًا لأن الأم لم تتلق أي قدر من التعليم فلم تستطع الحصول على فرصة عمل بسهولة، فقامت بإعداد الخبز داخل فرن بيتها وخرجت لبيعه في السوق هذا إلى جانب جمع بعض البيض والجبن والزبد من القرى المتاخمة وبيعها في أسواق المدينة.

كان لوالد محمد إرث في منزل أبيه وعندما طالبت به أم محمد بعد وفاة الأب كي يساعدها وطفلها على العيش رفضوا إعطاءها إياه. فوضت أمرها لله وأقامت في منزل أسرتها التي تزوجت فيه وكان إيجاره ثلاثة جنيهات شهريًا. استمرت الحياة وواصل

محمد تعليمه وكان متفوقًا في دراسته وكانت أمه تصر على عدم إهانته وعندما كبر قليلاً كان يريد مساعدة أمه في عملها أثناء الإجازات الصيفية لكن الأم كانت ترفض بشدة وتصر على تفرغه للدراسة فقط، وتمكن محمد من الحصول على الشهادة الابتدائية ثم الإعدادية ثم الثانوية العامة وكان كل يوم يتقدم فيه في دراسته يحقق لأمه جزءًا من حلمها هي وأبوه، بالفعل تمكن محمد من دخول الجامعة.

كان دخول الجامعة مرحلة فارقة في حياة محمد وأمه لأنها كانت مرحلة الفطام الحقيقية لمحمد فقد جاءت له كلية التربية جامعة الأزهر بالقاهرة وكان على محمد أن يحزم حقائبه ويغادر مدينته وحضن أمه لأول مرة في حياته وكانت لحظة عصيبة وقاسية، لقد ظل محمد في تلك الحضانة التي فرضتها عليه أمه سنوات عمره الماضية وآن له أن يخرج من تلك الحضانة ليتنفس هواءً جديدًا، ورغم صعوبة اللحظة إلا أن الحلم كان أكبر وأعظم فأصرت الأم على مغادرة فلذة كبدها لحضنها، وحضر محمد إلى القاهرة ونزل بالمدينة الجامعية بمدينة نصر وكانت أمه تعمل طوال الوقت لكي توفر له متطلبات العيش في القاهرة وخلال السنة الأولى كان محمد يحضر كل أسبوعين لرؤية أمه والاطمئنان عليها، وفي بعض الأحيان كان شوقه إليها يدفعه لترك محاضراته والعودة إلى المدينة لرؤية أمه وكان لهذا القلق والتشتت أثره السلبي على دراسته فلم يتمكن محمد من الحصول على تقدير جيد حتى يتمكن من الاستمرار بالسكن في المدينة الجامعية وهو ما يعني حملاً جديدًا يوضع على كاهل الأم حيث اضطرت لمضاعفة عملها بل والاستدانة في بعض الأحيان لكي توفر نفقات إقامة محمد خارج المدينة الجامعية.

واستمرت الحياة بكل قسوتها حتى جاءت لحظة الميلاد الحقيقية لمحمد وأمه لقد حصل محمد على بكالوريوس التربية من كلية التربية جامعة الأزهر وأسرع محمد ليزف الخبر لأمه إنه خبر تحقيق حلمها وأبيه إنها اللحظة التي انتظرتها طيلة عمرها، لقد كان محمد ابنًا وفيًا حقق لأمه ولروح أبيه كل ما حلما به وتمنياه وعاد محمد للاستقرار في مدينته وداخل بيته وفي أعماق حضن أمه الذي افتقده على مدار أربع سنوات هي عمر دراسته الجامعية.

وبدأت بشائر مرحلة جديدة فقد أصبح محمد رجلاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولابد أن يتحمل مسئولية البيت بمفرده لقد حان الوقت لتستريح الأم بعد كل ما تكبدته من مشقة وتعب، وكان لابد من البحث عن فرصة عمل مناسبة لمحمد وهنا بدأت الأم تستثمر بعض علاقاتها، فقد كانت تربطها علاقة وثيقة مع أسرة ثرية كانت تحضر لهم متطلباتهم من الخبز والجبن والزبد والطيور وكانت سيدة الأسرة تعطف على أم محمد كثيرًا وكانت تتابع أخبارها، وكانت ذات مرة وعدتها بتوفير فرصة عمل لمحمد في شركة أخيها بعد حصوله على مؤهله الدراسي. وبالفعل ذهبت الأم لتزف خبر نجاح محمد للسيدة الثرية وتطلب منها الوفاء بوعدها، وكانت السيدة في غاية الكرم وخلال أيام قليلة حصل محمد على وظيفة إدارية بشركة كيماويات يمتلكها شقيق السيدة الثرية وكانت الشركة على مقربة من منزل محمد وهو ما أدى إلى توفير نفقات المواصلات وبالتالي أصبح راتب محمد ثلاثمائة جنيه شهريًا خالصة للبيت ومتطلباته، وأصر محمد على ترك أمه لعملها لكنها رفضت بشدة وأكدت له أنها إذا جلست بالمنزل فسوف تموت، فهي لم تتعود على الراحة والخمول، هذا إلى جانب أنها تريد أن تفرح به وتزوجه وهذا يتطلب توفير كل قرش من راتبه.

قررت الأم إكمال فرحتها وفرحة أبنها الوحيد، وبالفعل كانت قد وضعت عينها على أجمل بنات الحي وهي ابنه الجيران وأعز الحبايب وعشرة عمرها وكانت ناهد ابنه الجيران قد فرغت لتوها من دراستها الثانوية وحصلت على الدبلوم التجاري وجلست بالمنزل لرعاية أبيها وأمها وقابل والد ووالدة ناهد طلب محمد بالترحاب الشديد وتمت الخطبة وتمكنت الأم من تدبير ثمن حجرة نوم جديدة من خلال بعض الجمعيات مع الجيران وقام محمد بطلاء المنزل وتزيينه وأصبح البيت جاهزًا لاستقبال العروس الجميل.

وانتقلت ناهد بعد الزفاف للعيش مع زوجها وأمه واستمرت الحياة بمحمد وأسرته الصغيرة التي توجت بمولودته حبيبة التي جاءت لتدخل السرور والفرح

والسعادة على محمد وأمه وزوجته، وظلت الأم تعمل لمساعدة أبنها على صعاب الحياة. وفي أحد أيام شتاء عام ٢٠٠٦ وأثناء غياب محمد ووالدته عن البيت شب حريق بالمنزل قضى عليه تمامًا حيث كانت الزوجة تعد طعام الغداء ووضعت بعض الأواني على البوتاجاز وخرجت لبيت أمها المجاور لبيت زوجها لكي تعطي أمها المريضة بعض الأدوية وأثناء تواجدها وطفلتها لدى بيت الأم نشب الحريق وخرجت على أصوات الجيران فوجدت ألسنة النيران تلتهم كل شيء وعندما جاءت المطافي وقاموا بإخماد الحريق لم يكن قد تبقى شيء من الأثاث حتى أسقف البيت الخشبية كانت قد أصبحت رمادًا. نجا محمد وأسرته من موت محقق ولكنهم أصبحوا فى مهب الريح فلا بيت ولا أثاث ولا مال، واضطروا للانتقال إلى منزل خالته للإقامة بشكل مؤقت حتى يتمكنوا من تدبير أمورهم، وكانوا جميعًا محشورين في حجرة صغيرة وضيقة يفترشون الأرض ويتلفحون ببعض الأغطية البسيطة في شتاء قارس البرودة.

ثالثًا: عملية البيع وتداعياتها:

لقد كانت الظروف الطارئة الأخيرة هي المقدمة الأولى لعملية البيع فبعد أقل من شهر على حريق البيت وانتقال محمد وأسرته للعيش في بيت خالته بدأ محمد وأمه يفكرون في حل لمشكلتهما الجديدة، وفي هذه الأثناء فكرت أم محمد في التوجه إلى السيدة الثرية التي تعطف عليها ويعمل محمد لدى شقيقها لتطلب منها المساعدة عن طريق الحديث مع أخيها كي يعطي محمدًا قرضًا يمكنهم من تأجير شقة ويتم خصم المبلغ من راتب محمد جزءًا كل شهر حتى ولو كان راتبه بأكمله، وبالطبع كان هذا الحل غير عملي فإذا اقترض محمد مبلغًا لتأجير شقة فمن أين سيتم فرشها، هذا إلى جانب أن راتب محمد صغير لا يتجاوز ثلاثمائة جنيه فكيف يسدد أقساط القرض أو الدين وكيف يعيش هو وزوجته وأبنته وأمه من دخل الأم المحدود حتى لو تضاعف دخل الأم من عملها فإيجار الشقق الأن اصبح كبيرًا مقارنة بالثلاثة جنيهات إيجار البيت المحروق، وأثناء عرض الأم مشكلتها على السيدة حاولت السيدة إقناعها بأن اقتراض

محمد لأي مبلغ لن يحل المشكلة بشكل نهائي لكن الحل التي تملكه يتطلب توفيقًا من الله أولاً وموافقة محمد ثانيًا. فهي لديها أسرة صديقة لأسرتها تسكن بشارع هارون الرشيد بمنطقة مصر الجديدة بالقاهرة وهذه الأسرة أكرمها الله بالمال الوفير هذا إلى جانب التدين وحب الخير وفعله، وعلى الرغم من ذلك فقد ابتليت هذه الأسرة بمصيبة كبيرة قد يفقدون بسببها ابنتهم الوحيدة وهي شابة صغيرة في المرحلة الجامعية أصيبت بمرض الفشل الكلوي وتقوم الآن بعمل غسيل دموي ثلاث مرات أسبوعيًا وهم يبحثون منذ فترة عن متبرع بكلية لابنتهم، وكلما وجدوا متبرعًا ابن حلال تفشل محاولات النقل بسبب عدم تطابق الأنسجة وحتى الآن جاءوا بأربعة متبرعين ولم تنجح عملية الزراعة لعدم توافر شروط إجراء العملية. فهل يقبل محمد إجراء فحوصات وإشاعات وتحاليل لعله يمكنه من التبرع وإنقاذ حياة هذه الشابة وإنقاذ أسرتها وهم على استعداد لدفع أي مبلغ مقابل إجراء هذه العملية، وعلى الفور صرخت أم محمد في وجه السيدة الثرية خوفًا على ابنها الوحيد الذي خرجت به من هذه الدنيا ورفضت الاستمرار في الحديث وخرجت مسرعة تندب حظها وتستغفر ربها.

عادت الأم إلى البيت حيث مقر إقامتها المؤقت ولم تفاتح محمد في الأمر ومرت عدة أيام وخلال هذه الفترة أخبرت السيدة الثرية أخاها بما دار بينها وبين أم محمد فقرر شقيقها أن يفاتح محمد في الأمر بنفسه ويحاول إقناعه ويكون بذلك قد حل له مشكلته وفي نفس الوقت حل مشكلة صديقه وأسرته التي ابتليت في أعز ما تملك وهي فلذة كبدهم، وبالفعل استدعى صاحب الشركة محمد في مكتبه وعرض عليه الأمر وقال له أن أخته كانت قد عرضت الأمر على أمه لكنها رفضت بشدة لذلك لابد من التفكير في الأمر بهدوء بعيدًا عن أمه حتى لا يتأثر بها، وحاول صاحب الشركة طمأنة محمد بأن العملية سوف تجري في أكبر المستشفيات وسوف يقوم بها أكبر الأطباء وهذه العملية أصبحت بسيطة للغاية وبالفعل عاد محمد إلى بيت خالته واختلى بزوجته وعرض عليها الأمر حيث أكد لها أنه من خلال هذه العملية سوف يؤمن مستقبلهم ومستقبل طفلتهم حبيبة.

ودون أي مقدمات أو تردد وافقت الزوجة على الفور، بل شجعت محمد على التفاوض من أجل الحصول على أكبر مكسب في هذه الصفقة الفرصة التي قد لا تتكرر مرة ثانية، وأكدت عليه أيضًا عدم إبلاغ أمه بالأمر لأنها سوف ترفض بحجة الخوف عليه، رغم أن حياتهم الآن تكاد تكون أشبه بالخطر المحدق، فهما في مهب الريح وقد تعصف بهما الرياح بعيدًا وتتفكك الأسرة وتفشل حياتهما الزوجية وتتشرد ابنتهما الوحيدة.

خلال هذه الليلة كانت زوجة محمد قد هيئته تمامًا لقبول العرض، وبالفعل ذهب في صباح اليوم التالي لصاحب الشركة وأخبره أنه على استعداد للقيام بكل الفحوصات والإشاعات والتحاليل اللازمة للتأكد من صلاحيته لإجراء العملية لكنه طلب منه أن يكون الأمر في طي الكتمان أي بشكل سري حتى لا يعلم أحد زملائه في العمل ويخبر أمه بما عزم القيام به، وبالطبع كان الأمر يتطلب السفر إلى القاهرة وقام محمد بإخبار أمه بأن لديه مأمورية عمل في فرع الشركة بالقاهرة وهو ما أعلنه أمام زملائه أيضًا، وذهب محمد إلى القاهرة وقام بإجراء كل الفحوصات والإشاعات والتحاليل المطلوبة، وخلال هذه الفترة كان هناك شاب آخر يقوم بنفس الإجراءات وبعد أسبوع كانت النتائج مبشرة بأن محمد هو الشخص المناسب من حيث توافق الأنسجة مع أنسجة المريضة وبالتالي صلاحيته لإجراء العملية.

عاد محمد إلى مدينته وهو يحمل البشرى لزوجته بقرب انفراج الأزمة وبعد العودة كان لابد من الجلوس إلى صاحب الشركة التي يعمل بها لكي ينقل له طلباته من أجل إجراء العملية، وكانت طلبات محمد محددة في ثلاث طلبات أساسية: الأولى شقة بالإيجار يدفعون له خلوها، ثم قطعة أرض زراعية بقرية أبيه شيبه، ثم مبلغ خمسة وعشرون ألف جنيه. وبدت طلبات محمد كثيرة ومبالغًا فيها حين عرضها على صاحب الشركة صديق أسرة المريضة، وعندما تحدث مع محمد عن أسباب تحديد هذه الطلبات فقال محمد إنه قد يدفع حياته ثمن إجراء هذه العملية وبالتالي لابد من تأمين مستقبل أسرته فالشقة للمعيشة الدائمة والمبلغ

المالي لتجهيز الشقة وقطعة الأرض للعيش من ريعها، وطلب صاحب الشركة من محمد مهلة لعرض الأمر على صديقه وأسرته وبالفعل قام في اليوم التالي بعرض الأمر عليهم وأخذ موافقة فورية على طلبات محمد وقاموا بتفويضه في توفير كل طلبات محمد؛ فقام محمد بتأجير شقة بعد دفع مبلغ خمسة عشر ألف جنيه خلو رجل في منزل جديد في نفس الحي الذي كان يعيش فيه محمد وأسرته بإيجار شهري مائة جنيه، ثم طلب من محمد البحث عن قطعة أرض بقرية أبيه مساحتها نصف فدان وبالفعل وفق محمد في الحصول عليها من خلال أحد أقاربه، ثم دفع له صاحب الشركة مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيهًا مقدمً. قام محمد بشراء أثاث بمبلغ عشرة آلاف جنيه ووضع باقي المبلغ في البنك.

بعد ذلك كان لابد من انتقال محمد لإجراء العملية وكانت المعضلة الحقيقية أمام محمد كيف يخبر أمه بالأمر فقد تمت الصفقة بنجاح وقرر محمد عدم إبلاغ أمه بالأمر إلا في آخر لحظة. وبالفعل عندما تحدد موعد العملية طلب محمد من أمه وزوجته أن يحضرا إليه في القاهرة بعد أن وفرت له أسرة المريضة شقة لإقامة أسرته طوال تواجده بالمستشفى وعند وصول أمه وزوجته وابنته فاتح أمه في الأمر؛ رفضت بشدة وأخذت تبكي طوال الوقت لكنه أكد لها أن العملية بسيطة وأنه قد قام بالاتفاق على كل شيء ولا يمكنه التراجع الآن، ظلت الأم رافضة من داخلها حتى وإن قبلت بالأمر الواقع ظاهريًا، ودخل محمد مستشفى الجنزوري لإجراء العملية وكانت أمه وزوجته في صحبته دائمًا ترجعان فقط للنوم ومنذ الصباح الباكر تكونان أمام باب المستشفى؛ كانت زوجته رابطة الجأش وهو ما ساعده كثيرًا أما أمه فقد كانت منهارة تمامًا.

وخلال فترة تواجد محمد بالقاهرة لإجراء العملية كان يلقي هو وأسرته معاملة ممتازة من أسرة المريضة وكان أبوها رجلاً متدينًا لا يترك صلاة وكان رجلاً خيرًا كما وصفه صديقه صاحب الشركة، حيث رفض الرجل أن يخفي عن محمد مدى خطورة العملية فقبل إجراء العملية جاء والد المريضة ومعه الطبيب وقال

لمحمد إن حالته لن تستقر بسهولة وإنه سوف يخضع لإشراف طبي مكثف خلال الثلاثة شهور الأولى بعد العملية وسوف تتطلب العودة لممارسة حياته بشكل طبيعي ما يقرب من عامين، وبالفعل وافق محمد وتمت العملية بنجاح واستمر محمد أكثر من شهر داخل المستشفى.. رفض والد المريضة خروجه إلا بعد الاطمئنان عليه تمامًا مثله مثل ابنته، وبعد الخروج ظل محمد لمدة شهرين مقيما فى شقة الأسرة هو واسرته وكان يذهب أسبوعيًا للمتابعة بالمستشفى وكان يحتاج لبعض الحقن غير المتوفرة في الصيدليات، وكان والد المريضة يوفرها لمحمد من خلال السوق السوداء وبعد الاطمئنان على محمد عاد إلى مدينته وعمله، وظل والد المريضة على اتصال دائم به وبأسرته يسأل عنه تليفونيًا ويرسل له بعض الهدايا في المناسبات والأعياد.

رابعًا: نتائج عملية البيع:

يرى محمد وبعد مرور ما يزيد على ثلاث سنوات على عملية البيع أن ظروفه الاقتصادية السيئة كانت الدافع الأول والأخير لقبول مثل هذه المخاطرة مع ما قاله من تبرير «أن الحياة نفسها مخاطرة كبيرة فمن يضمن أن تستمر به الحياة دون صعاب، فقد تحدث لأي إنسان حادثة يفقد حياته على أثرها ومن يقبل شيئًا به خطورة فهو يقبله مضطرًا لوجود خطر أكبر منه محيط به، ولا يوجد خطر أكبر من خطر الفقر والحاجة».

ويؤكد ويبرر في نفس السياق «كنت أقيم في بيت بسيط وأعمل في عمل متواضع وعايش وراضي والحمد لله وفي لحظة وجدت نفسي في الخلاء لا بيت ولا حماية، ولو على الواحد ممكن يستحمل لكن أمي الست الكبيرة اللي شافت الويل وشربت المر علشان تربيتي وزوجتي وابنتي الصغيرة ما ذنبهم والله الواحد كان عامل زي اللي داخل حرب ورايح يعمل عملية استشهادية لكن الحمد لله ربنا وقف جنبي ووقفلي ناس ولاد حلال أسرة طيبة وكريمة وشيالة الجميل».

وعن أحواله بعد العملية قال: «أنا مقدرش أقول أن صحتي زي صحة السليم بس الحمد لله ربنا عالم بحالنا، وعلى فكرة كل شيء مقدر ومكتوب عند ربنا والعملية تمت بسلام والمدة اللي قال عليها الأطباء وهي عامان مرت بسلام ومحصلش أي مضاعفات بعد العملية وأنا دلوقتي بمارس حياتي بشكل شبه طبيعي، يعني بحاول مجهدش نفس وصاحب الشركة إنسان محترم ومرتبي كبر وبقى خمسمائة جنيه على القرشين اللي بيطلعوا من نص الفدان وأرباح الفلوس اللي في البنك مكفينا وزيادة والحمد لله بشيل منهم كمان. وأحسن ما في الموضوع أني قدرت أريح أمي بعد العمر ده كله والشقى والتعب اللي شفته معايا ونفسي ربنا يقدرني عشان أبعتها تحج أو تعمل حتى عمرة علشان دلوقتي أمنية حياتها».

وعن الأسباب التي تدفع البائعين لمثل هذه العلمية أكد أنه «وبصراحة ميعرفش هل كل الناس اللي بتتبرع بيكون هدفها الفلوس ولا لأ بس أنا لما كنت في المستشفى شفت واحد كان بيتبرع لأخيه وده مؤكد مش بدافع الفلوس ولكن لو حد هيتبرع لواحد غريب لازم يكون هياخد فلوس وأنا بصراحة معرفش دوافع الناس إيه بس في الغالب الظروف الوحشة والسيئة دايمًا تكون المحرك لعملية التبرع».

وعن المستشفى الذي تم إجراء العملية به أكدت الحالة «أنه مستشفى راقي جدًا ومجهز على أعلى مستوى لإجراء مثل هذه العمليات والمستشفى يمتلكه رئيس الوزراء السابق كمال الجنزوري ففي مدخل المستشفى بعض الصور له وأفراد عائلته واعتقد إن أخوه طبيب وكذلك ابنته يعملون بالمستشفى».

وعن إحساسه وشعوره أثناء تواجده بالمستشفى وهل كانت هناك أمور تبدو غير طبيعية أكد أنه «أثناء تواجدي بالمستشفى لم أشعر أن هناك شيء غير طبيعي يتم داخل المستشفى أو أن هناك سرية على مثل هذه الجراحات، بل الأمور كانت كلها تسير في هدوء تام خاصة وأن هناك حالات كثيرة مثل حالتي يوميًا داخل المستشفى».

الحالة الثالثة: (الإمام الشافعي – القاهرة – بائع)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: محمد

السن: ٣٠ سنة

الحالة التعليمية: ليسانس آداب قسم تاريخ

المهنة: موظف بشركة مواد غذائية

الحالة الاجتماعية: متزوج

ثانيًا: الأصول والنشأة والظروف:

ولد محمد في منطقة الإمام الشافعي بحي القلعة العريق في بيت قديم مبني بالحجارة والأخشاب يتكون من طابقين يسكن الطابق الأرضي أسرة محمد وتسكن الطابق العلوي أسرة صديق لوالده وكل طابق عبارة عن شقة تتكون من حجرتين كبيرتين بالإضافة إلى المطبخ والحمام، وكان البيت يقع تحت سور القلعة مباشرة وفي مواجهة سور مسجد الإمام الشافعي وبالقرب من قسم الخليفة وعلى بعد أمتار قليلة من مسجد السيدة عائشة وبالقرب من سوق الجمعة الشهير وتعد منطقة الإمام الشافعي إحدى المناطق العشوائية العتيدة بمدينة القاهرة حيث تتنوع بها أنماط السكن العشوائي سواء كان على شكل بيوت قديمة أو عشش وأكواخ أو منطقة المقابر حيث شواهد المقابر وأحواش المقابر.

ولد محمد لأب يعمل في حياكة الملابس الحريمي وكان يمتلك ورشة صغيرة في نفس الحي بجوار السكن مباشرة، ولد الأب في ذلك الحي وعاش فيه سنوات عمره الأولى، وتعلم حياكة الملابس منذ الصغر فهو لم يذهب إلى المدرسة بل ذهب مباشرة لتعلم تلك الصناعة التي ظل يعمل بها طوال حياته وعندما صار شابًا وكان ذلك في مطلع السبعينيات كانت الأحوال الاقتصادية في مصر متردية

بسبب الحروب فقرر السفر إلى لبنان وبالفعل ظل هناك ست سنوات عمل خلالها في عدة ورش ومصانع لحياكة الملابس واتقن وتعلم فنونًا جديدة لصناعة الملابس النسائية، ثم عاد إلى مصر في عام ١٩٧٦ وكانت أحواله المادية قد تحسنت بشكل ملحوظ، وبعد العودة قرر البحث عن سكن مستقل لأسرته أراد أن يكون سكنه الجديد في نفس الحي الذي نشأ وعاش به سنوات عمره الأولى، فعثر على تلك الشقة التي ولد فيها محمد بعد ذلك. ثم قام بالبحث عن ورشة لكي يستقل بمشروعه الخاص وبالفعل عثر على محل بجوار المسكن بمنطقة الإمام الشافعي وبدأ الأب مشروعه الجديد وكان طموحه كبيرًا فأخذ يتردد على محال وسط البلد يعرض عليها أفكاره وتصميماته في صناعة الملابس النسائية ونجح في كسب ثقة بعض التجار وأخذ يعد لهم ما يحتاجونه من ملابس للعرض في تلك المحال بين أصحاب تلك الصنعة.

وبعد هذا النجاح كان عليه أن يفكر في الاستقرار، في أحد أيام صيف ١٩٧٦ كان يتردد على ورشة أحد أصدقائه في شارع ٢٦ يوليو بوسط المدينة فشاهد عددًا من الفتيات يعملن لدى ورشة صديقه لكنه انجذب بشدة لتلك الفتاة الصغيرة الجميلة التي تدعى عطيات سأل عنها وعن أسرتها وظروفها فعلم أنها من أسرة فقيرة تسكن في منطقة قايتباي بحي الجمالية اضطرت للخروج للعمل في سن صغيرة لمساعدة أسرتها الكبيرة فقد كان أبوها متعدد الزوجات وكان ينجب كثيرًا رغم أنه موظف بسيط، وكانت عطيات لا تعرف عدد أخواتها من أبيها، حاول التقرب إليها لكنه وجد منها تمنعًا فعرض عليها الزواج، فلم تصدق نفسها طارت من الفرح فهو صاحب ورشة ولديه شقة وظروفه المادية جيدة ولن يكلف أسرتها شيئًا وسوف يخرجها من حياة الفقر والحاجة، وبالفعل تم الزواج وانتقلت عطيات للعيش في بيتها الجديد وكانت في بداية الزواج تقوم بمساعدة زوجها في عمله فهي تجيد فنون الصنعة التي يعمل بها وظلت الحياة هادئة حتى أنجبت ثلاثة أطفال بشكل متتال هم أحمد ثم مصطفى ثم محمد وبدأت الخلافات والمشاجرات تدب بين عطيات وزوجها بسبب تزايد المطالب المادية وعدم مراعاة عطيات للظروف المتغيرة لزوجها.

بعد عدة سنوات من الزواج بدأت أحوال الأب تتدهور نتيجة للتطور الذي دخل على صناعة الملابس، الذي لم يستطع الأب مجاراته، حيث أصبح أصحاب محال وسط البلد يعتمدون على الاستيراد من الخارج أو على المصانع والورش الكبيرة، وبالتالي فقد الأب أهم مصدر لتصريف بضاعته التي يقوم بتصنيعها في ورشته الصغيرة في الحي الشعبي البعيد عن وسط البلد، وهنا أدرك الأب أنه قد اختار المكان الخطأ لعمله فكان لابد وأن ينقل عمله منذ البداية إلى وسط البلد لكن كان إدراكه بعد فوات الأوان، وظل الأب في ورشته الصغيرة يعتمد على سكان المنطقة الفقيرة الذين يرغبون في تصميم ملابسهم وزادت المشاجرات بين فتحي وزوجته بسبب كثرة مطالبها التي تفوق إمكاناته من ناحية وبسبب غيرته الكبيرة عليها من ناحية أخرى فهي تتمتع بقدر كبير من الجمال جعلها محط أنظار رجال المنطقة الشعبية التي يعيشون بها ونتيجة لهذا الشجار تم تطليق الزوجة أكثر من مرة.

نشأ محمد في تلك الأسرة المفككة دائمة الشجار بين الأب والأم ودخل المدرسة ليلحق بأخويه الأكبر منه أحمد ومصطفى، وعلى الرغم من الظروف الأسرية غير المستقرة إلا أن الأب كان حريصًا على تعليم الأبناء وكان الجميع تمتع بالذكاء والتفوق الدراسي منذ السنوات الأولى وعند دخول محمد المدرسة كانت أمه حاملاً في أخيه الأصغر سامح ونشبت مشاجرة بين الأم والأب طلقت على أثرها للمرة الأولى وتركت البيت وعادت لبيت أبيها وتركت للأب الأبناء الثلاثة فاضطر الأب للبحث عن زوجة لرعاية أبنائه الثلاثة وبالفعل وجد أرملة تسكن نفس الحي، تزوجها وأنجب منها طفلة تدعى نجلاء ومرت ثلاث سنوات لم تسأل الأم عن أبنائها وكان كلما سأل عن مولوده الجديد ترفض بشده أن يراه وبدأ الشجار يدب بين الأب وزوجته الجديدة بسبب خدمة أطفاله مما اضطره إلى تطليقها، وفي هذه الأثناء فكر في زيارة زوجته القديمة وعرض عليها العودة لرعاية أبنائها وعادت بالفعل وبدأت مرحلة جديدة في حياة الأسرة.

واصل محمد وإخوته تعليمهم بتفوق وتشجيع ورعاية خاصة من الأب، أحمد ومصطفى وصلا إلى المرحلة الثانوية، محمد أصبح في الشهادة الإعدادية، وسامح الصغير في الصف الرابع الابتدائي، والمشاجرات بين الأم والأب بسبب المال مازالت مستمرة. وفي هذه الأثناء حدث زلزال ١٩٩٢ وتهدم البيت القديم وسارعت محافظة القاهرة بتسكين من تهدمت بيوتهم وحصلوا على شقة جديدة بمدينة السلام، تلك المدينة التي تقع على أطراف مدينة القاهرة وتجمع أطيافًا متنوعة من البشر من مختلف الثقافات الفرعية والمستويات الاجتماعية والاقتصادية المتدنية.

بدأت الأسرة حياة جديدة لكن المشكلات الأسرية ظلت كما هي، فدخل الأب محدود من ورشته الصغيرة وتطلعات الأم كبيرة، فهي من بين هواياتها الأساسية جمع المال فلديها دفتر توفير به أكثر من ثلاثين ألف جنيه الآن جمعتها من قلب الأب خلال سنوات وسنوات وكان الأب يقوم برعاية ابنته الصغيرة من زوجته التي قام بتطليقها وفي أحد الأعياد كان يعد لها فستانًا فقامت الزوجة بتمزيقه ونشبت مشاجرة قام الأب على أثرها بتطليقها للمرة الثانية وتركت هذه المرة أبناءها الأربعة وذهبت لبيت أبيها وبعد عدة أشهر عادت مرة أخرى مع وعد بأن تستمر الحياة من أجل الأبناء لكن دائمًا ما يغلب الطبع التطبع، فقد نشبت الخلافات من جديد وأهانت الأم الأب بشكل كبير فقام بتطليقها للمرة الثالثة وخرجت لبيت أسرتها بلا عودة.

وتركت كالعادة أبناءها لأبيهم وعادت لبيت أسرتها، وكان أبوها قد توفى فأخذت معاشه وجلست في شقته مع شقيقتها الأكبر المطلقة هي أيضًا، واستمرت الحياة بمحمد واشقائه في ظل اجتهاد الأب ورعايته للأبناء – يواصلون تعليمهم: أحمد ومصطفى يدخلان كلية التجارة جامعة عين شمس ومحمد يلحق بهما في نفس الجامعة لكن بكلية الآداب ويتخرج الأبناء تباعاً، وسامح الصغير وصل للمرحلة الثانوية وكانت فرحة الأب غامرة والأم انقطعت كل صلاتها بالأبناء ولا تعلم عنهم أي شيء، الأب يقوم بدور مزدوج فهو الأب والأم في ذات الوقت.

لكن دائمًا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فالسكن في مدينة السلام يجمع بين أناس من ثقافات مختلفة.. حاول الأب وأبنائه أن يقيموا جدارًا من العزلة بينهم وبين الجيران لكن هذه العزلة لم تمنع الجيران من الاحتكاك بهم فنشبت مشاجرة بينهم وبين أحد الجيران وكان هذا الجار تاجر مخدرات وعندما احتدم الصدام لجأ والد محمد إلى قسم الشرطة لحمايته وأبناءه من بطش هذا الجار وعند حضور الشرطة وجدوا لدى الجار بعض المخدرات فتم القبض عليه ووضع في السجن واعتبرت أسرة تاجر المخدرات أن الأب وأبنائه هم السبب وراء سجن الأب وبدأت مشكلات جديدة.. خاف الأبناء على والدهم فطلبوا منه عدم الحضور إلى البيت فأخذ يعيش بصورة شبه دائمة في ورشته بمنطقة الإمام الشافعي.

كان تاجر المخدرات لديه ابنة شابة حاولت الاحتكاك بمحمد وأشقائه أكثر من مرة فاضطر الشقيق الأصغر سامح إلى الذهاب لأمه وقام بإخبارها عما حدث ويحدث لهم وطلب منها العودة حتى تحميهم من كيد هؤلاء النساء، فقد كان خوف محمد وأخوته أن تقوم أسرة تاجر المخدرات بتلفيق تهمة لهم خاصة وأنهم شباب يقيمون بمفردهم وعادت الأم للعيش مع الأبناء وكان محمد يخرج للعمل كمندوب مبيعات بشركة فاين للمناديل الورقية بينما يعمل أخوه الأكبر أحمد محاسب فى شركة للمواد الغذائية ومصطفى يعمل في أحد الأندية الرياضية بمدينة الإسماعيلية، وكان محمد غير راض عن عمله كمندوب مبيعات حيث يرغب في العمل كمدرس لمادة التاريخ لكنه فشل في الحصول على وظيفة بأي مدرسة وبعد فترة استطاع أخوه أحمد أن يوفر له فرصة عمل جيدة في شركة المواد الغذائية التي يعمل بها.

ثالثًا: عملية البيع وتداعياتها:

بدأ محمد عمله في شركة المواد الغذائية بمرتب ٣٠٠ جنيه أخذت في التزايد تدريجيًا حتى وصلت إلى ما يقرب من ٥٠٠ جنيه في مطلع عام ٢٠٠٦، وكان يضطر إلى دفع مبلغ ١٥٠ جنيه شهريًا مساهمة في مصروف البيت لأمه مثله مثل أخويه الأكبر منه أحمد ومصطفى، هذا بالطبع خلاف ما يدفعه الأب من مصروفات

أساسية لإعاشة الأسرة، وخلال هذه الأيام ارتبط محمد عاطفيًا بإحدى أقاربه وتمت الخطبة وكان يقوم بادخار نصف مرتبه من أجل توفير نفقات الزواج وعندما قرر البحث عن شقة اصطدم بالواقع الأليم، فالمبلغ الذي قام بتوفيره على مدار سنوات عمله لم يتعد خمسة آلاف جنيه والأب لا يملك من حطام الدنيا شيئًا والأم لديها تحويشة عمرها ولكنها لن تفرط في مليم واحد، والمبلغ هزيل لا يمكنه حتى من الحصول على شقة صغيرة ٥٠ مترًا في أي حي شعبي أو عشوائي، وأهل الخطيبة يستعجلونه. قدم في إسكان المحافظة وكان يتطلب عقد القرآن لحديثي الزواج، عقد قرآنه وبعد عدة أشهر قاموا بعمل قرعة بين المتقدمين لم يكن من سعيدي الحظ فلم يحصل على الشقة وبدأ يبحث من جديد في كل عشوائيات القاهرة واكتشف أن تحقيق حلمه يتطلب معجزة من السماء، وكانت قد زادت مسئولياته تجاه خطيبته وأسرته بعد عقد قرآنه.

وفي هذه الأثناء أصيب أحد أصدقائه في العمل وكان مديرًا للتسويق بمرض الفشل الكلوي وكان هذا الشاب ينتمي لأسرة ميسورة الحال وبدأت أسرته رحلة البحث عن متبرع له وتعددت اتصالاتهم بهذا السوق وكان محمد واخوه أحمد دائمي الزيارة لهذا الصديق وكانا يتابعان عن قرب ما تقوم به أسرة صديقهما المريض من بحث عن شخص مناسب، وفي هذه الأثناء كانت حالة الصديق تتدهور ويحتاج لتبرع بالدم وكانت فصيلته من فصيلة دم محمد فكان محمد يقوم بالتبرع له بالدم، علم محمد أن الأسرة عرضت على أحد الأشخاص ٥٠ ألف جنيه للتبرع لكن فصيلة الدم جاءت مختلفة، في تلك الفترة بدأت الفكرة تختمر في ذهن محمد لماذا لا أكون أنا هذا المتبرع، إن هذا الحل يمكن أن يحل لي كل مشاكلي، عرض الأمر على اخيه الأكبر أحمد وكان يعلم مدى حبه لهذا الصديق وكان أحمد نفسه يعاني بعض المشكلات الصحية في الكلى أيضًا فرحب تعاطفًا مع صديقه، وليس حلاً لمشكلات أخيه ولم يجد محمد أي معارضة من خطيبته واشقائه الآخرين، لكن المعارضة جاءت من الأم خوفًا عليه فهي تشاهد ابنها الأكبر ومعاناته عندما

تأتي آلام الكلى؛ لكن الأم لم تكن لديها رصيد عاطفي يكفي لإثناء محمد عما عزم القيام به فضرب بكلامها عرض الحائط وبالطبع لم يستطع محمد مفاتحة أبيه في الموضوع فهو الوحيد القادر على منعه من إجراء مثل هذه العملية وقرر أن يضعه أمام الأمر الواقع.

وبالفعل قام محمد بمفاتحة أسرة صديقه بأنه على استعداد للتبرع بكليته ورحب الجميع ودخل محمد مستشفى دار الفؤاد المملوك لوزير الصحة الدكتور حاتم الجبلي وقام بإجراء الفحوصات والتحاليل اللازمة للعملية وأكد الأطباء إمكانية قيام محمد بالتبرع بكليته لصديقه، وتمت العملية وظل محمد لمدة أسبوعين بالمستشفى وعند المغادرة حصل على مبلغ خمسين ألف جنيه قام بعد ذلك بتأجير شقة إيجار مؤقت لمدة عشر سنوات في حي دار السلام العشوائي بجوار أسرة خطيبته دفع مبلغ عشرين ألف جنيه تأمينًا لصاحب العمارة الجديدة وقام بإتمام الزواج بعد شراء الفرش بمبلغ عشرين ألف جنيه أخرى ولم يتبق له من مبلغ عملية البيع إلا عشرة آلاف جنيه وقام بإتمام زفافه في مطلع عام ٢٠٠٧.

رابعًا: نتائج عملية البيع:

بعد خروج محمد من العملية وعودته إلى منزله حدثت له مضاعفات كثيرة فقد ظل ينزف نتيجة لخطأ في إجراء العملية حيث ترك الأطباء أحد الأوردة دون خياطة وبالتالي تدهورت حالته الصحية وعاد مرة أخرى إلى المستشفى ودخل غرفة العمليات وتم إجراء جراحة جديدة لمعالجة الخطأ السابق، وبعد الخروج ظل يأخذ العلاج بشكل مستمر حتى لا تتدهور حالته وهذا العلاج مستمر حتى الآن وسوف يستمر لسنوات قادمة بناء على ما أكده له الأطباء.

يؤكد محمد أنه لو عاد الزمن ما فعل تلك الفعلة، خاصة وأن حالته الصحية غير مستقرة ورغم زواجه إلا أنه لم ينجب حتى الآن رغم مرور ثلاث سنوات على زواجه وكل الفحوصات تؤكد أن زوجته سليمة ويعتقد محمد أن العملية كان

لها تأثير سلبي على قدرته على الإنجاب خاصة وأنه يعاني بعض المشكلات في المسالك البولية.

يرى محمد أن هذه العملية هي أكبر خطأ ارتكبه في حياته وأن الله يعاقبه لأنه فرط في ما لا يملكه فالصحة أهم شيء في الوجود هذا إلى جانب نظرة الآخرين له بأنه قام ببيع جسده فهذه وصمة اجتماعية بالنسبة له سوف يعيش بها طوال حياته، فهو يؤكد أنه لا يجرؤ أن يتحدث في هذا الأمر مع أي شخص وعندما يضطر للحديث لا يتحدث أبدًا عن أنه قام بالبيع بل قام بالتبرع لصديقه من أجل عمل الخير وإنقاذ حياته، ويؤكد على أن حالته النفسية سيئة باستمرار نتيجة التفكير الذي لا ينقطع في كل ما حدث له نتيجة لإجراء العملية المشئومة.

وعن دوافع عملية البيع يؤكد محمد أن المال والظروف الاقتصادية السيئة هي السبب والدافع الأول والأخير لاتجاه الشباب إلى حلول قاتلة ومدمرة مثل بيع الأعضاء البشرية، ويرى أيضًا أن الحكومة مسئولة عما يحدث الآن للمواطنين وسبب كل البلاء فهي المسئولة عن الفقر والقهر الذي دفع المواطنين لبيع أجسادهم وأبنائهم من أجل العيش فالوظيفة الأولى للدولة لابد وأن تكون هي توفير حياة كريمة للمواطنين وأكبر دليل على كده أن الحكومة كلها رجال أعمال جمعوا أموالهم من قلب ودم الشعب، مستشفى دار الفؤاد اللي عملت فيها العملية ملك وزير الصحة وهي أكبر مستشفى في مصر لعمل مثل هذه العمليات وبعد كده بيقولوا الدولة بتحارب عمليات البيع، والله العظيم كل شيء بيتم تحت سمع وبصر الدولة والحكومة مش هما أصحاب المستشفيات الكبيرة اللي بتروح فيها فلوس المشترين.

وعن أحواله الآن أكد أن الحياة مستمرة فهو يذهب إلى عمله بشكل منتظم ووصل راتبه إلى ما يقرب من ٨٠٠ جنيه غير كافية لفتح بيت والعلاج، ولكن الحمد لله على كل شيء ولازم الناس تعرف أنه ما من مصيبة تصيب الإنسان إلا ما كسبت يداه فالإنسان بصير على نفسه والمولى عز وجل بيقول (ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة) ولكن الإنسان بيقول ده وبيفتكر ربنا بعد فوات الأوان.

الحالة الرابعة: (الفيوم – بائعة)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: أم كريم

السن: ٤٢ سنة

الحالة التعليمية: أمية

الحالة العملية: ربة منزل

الحالة الاجتماعية: مطلقة

عدد الأبناء: ثلاثة

ثانيًا: الأصول والنشأة والظروف:

ولدت أم كريم في قرية كحك مركز أبشواي محافظة الفيوم لأب يعمل في صيد الأسماك ويسكنون في بيت من بيوت القرية الفقيرة، فالبيت ريفي بسيط مبني من الطوب النبيء ويتكون من ثلاث حجرات ودورة مياه ولا يوجد به مياه شرب ولا مجاري وأدخلت إليه الكهرباء بوصلة من الكابل العمومي كغالبية أهل القرية والبيت لا يوجد به إلا أثاث بسيط كحياة أهل الريف الفقراء. وكانت أم كريم الأبنة الصغرى للأسرة المكونة من ثلاث فتيات هن من عشن لهذه الأسرة من إجمالي عشرة أبناء، كان دخل الأب بسيط من عمله في صيد الأسماك في بحيرة قارون وبيع حصيلة صيده في سوق القرية.. لم يستطع الأب إدخال بناته الثلاث التعليم وظللن جالسات في البيت يساعدن الأم في أعمال البيت وتربية الدواجن والطيور، توفيت الأم مبكرًا وتركت البنات الثلاث لأبيهن، كانت أم كريم لم تتجاوز العاشرة من عمرها.

كان الأب عندما تظهر علامات الأنوثة على إحدى بناته ويتقدم إليها أحد شبان القرية يقوم بتزويجها، وعندما تصل للسن القانوني يقومون بتسنينها كعادة أهل الريف في مصر، تزوجت الأخت الكبرى ثم تبعتها الأصغر منها وظلت أم كريم تعيش مع أبيها بمفردها حتى وصل سنها أربعة عشر عامًا تقدم لها أحد أبناء عمومتها وافق الأب وتزوجت أم كريم وانتقلت للعيش ببيت زوجها وكان بيت عائلة.

أخذوا يكلفونها بأعباء البيت كله فهي تزوجت الشقيق الأصغر فأخذت في خدمة كل أفراد الأسرة. أنجبت كريم في السنة الأولى للزواج لكن المشكلات بدأت تدب بينها وبين زوجها بسبب زيادة الأعباء عليها، وبدأ يضربها لتقصيرها في خدمة أشقائه وأبيه وأمه وتكررت المشكلات وانتهت إلى تطليقها، وعادت إلى بيت أبيها تقيم معه من جديد بعد أن أخذوا منها كريم وهو طفل رضيع.

استقرت أم كريم في بيت أبيها حتى تقدم لها عريس جديد من أهل القرية لكنه يعمل ويقيم في القاهرة، وافق الأب وجاءت أم كريم إلى بيت زوجها بالقاهرة وكان يسكن بحي منشية ناصر في حجرة واحدة بحمام مشترك بمنطقة الرزاز، كان زوجها الجديد يعاملها معاملة حسنة، انجبت منه طفلتين وكان يعمل في طائفة المعمار وفي أحد أيام شتاء عام ١٩٨٧ سقط زوجها من فوق السقالة، توفى في الحال ولم تجد أم كريم أمامها إلا العودة إلى مسقط رأسها بقرية كحك حيث بيت أبيها، لكن هذه المرة اصطحبت معها ابنتيها وحاولت البحث عن عمل لكنها لم تجد إلا بيع السمك في سوق القرية وأحيانًا في أسواق القرى المجاورة أو سوق المركز، الأب يصطاد السمك وأم كريم تقوم على بيعه إلى جانب أسماك بعض الصيادين الآخرين، استمرت الحال لفترة من الزمن حتى تقدم لها زوج جديد فهي لازالت صغيرة وبها مسحة من جمال بنات الريف، وافقت على الزواج حتى تستريح من مشقة العمل.

كان زوجها يمتلك محلاً للبقالة لكنه كان بخيلاً للغاية، أخذ يضن عليها وعلى أبنائها حتى طلبت منه الطلاق فقام بتطليقها وعادت من جديد لبيت أبيها وعادت أيضًا لعملها للمساعدة في تربية أبنائها وقررت ألا تفكر مرة أخرى في الزواج.

ثالثًا: عملية البيع وتداعياتها:

في بداية عام ١٩٩٩ كانت ابنتا أم كريم قد أصبحتا فتاتين جميلتين وبدأ شباب القرية يتوافدون على بيت الجد يطلبون نسبه وكان كل من يتقدم تكون له طلبات في المشاركة في تجهيز العروس وأم كريم توفر قوت اليوم بالكاد، تمت خطبة الابنة الكبرى وقام الخطيب بالاتفاق على بعض الأثاث الذي لا بد من إحضاره كادت الخطبة تفض بسبب احضاره كل المطلوب منه وتأخر أم كريم وأبيها عن إحضار المطلوب منهما، هذا إلى جانب أن الأبنة الصغرى تقدم لها أكثر من شاب ويتعللون بأنها صغيرة ولن يفكروا في زواجها إلا بعد زواج شقيقتها.

في تلك الأثناء كان هناك أحد أقارب أم كريم يقيم بالقرية ويعمل عاملاً بقسم الكلى بمستشفى الحسين الجامعي، وعند الحضور إلى القرية كان يأتي ليطمئن عليها وعلى أبيها وأبنائها وفي إحدى الزيارات اشتكت أم كريم من الظروف الاقتصادية السيئة وأن زيجة البنت قد لا تتم بسبب عدم استطاعتها توفير ثمن جهازها، عرض عليها هذا القريب حلاً لمشكلتها وهي بيع إحدى كليتيها وهو على استعداد لتوفير المشتري لها عن طريق عمله بالمستشفى وسوف يدفعون لها مبلغًا محترمًا يحل لها كل مشكلاتها، عرضت الأمر على أبيها الذي رفض الفكرة من أساسها لكن مع الوقت اقتنع بأن هذا هو الحل الوحيد ونفس الأمر بالنسبة لأبنتيها، اتصلت بقريبها وأبلغته بموافقتها، طلب منها بعد أسبوع الحضور إلى القاهرة واستقبلها في بيته في منطقة منشية ناصر التي كانت تسكنها أثناء إقامتها بالقاهرة مع زوجها الثاني، اصطحبها إلى مستشفى خاص في منطقة الدقي وتم عمل الأشعة والتحاليل اللازمة وخلال أقل من أسبوع كانت قد قامت بعمل الجراحة وأعطوا لها مبلغ عشرون ألف جنيه.

تؤكد أم كريم أنها لا تعلم شيئًا عن المريضة التي قامت بالتبرع لها ولم تلتق مع اسرتها وكان قريبها هو الذي يتولى كل أمورها منذ حضورها إلى القاهرة وحتى إجراء الجراحة وخروجها بعد أسبوع إلى بيته الذي استمرت به أسبوعًا آخر وبعد

الاطمئنان على الجراحة عادت إلى قريتها وكانت ابنتها الصغرى في صحبتها طوال الفترة التي قضتها لدى بيت قريبها الذي توسط لها لإجراء الجراحة، ورجعت أم كريم إلى مسقط رأسها لتستأنف حياتها من جديد.

رابعًا: نتائج عملية البيع

بعد العودة قامت أم كريم بشراء كل متطلبات زواج أبنتها إذ انفقت نصف المبلغ حيث كانت قد قررت أن تقسم المبلغ بين ابنتها الكبرى والأبنة الصغرى، بعد زفاف الأبنة الكبرى وانتقالها لبيت زوجها الذي يسكن بشقة جيدة منفصلة عن بيت أبيه ويعمل موظفًا بمكتب بريد المركز فهو حاصل على دبلوم، تقدم شاب لخطبة الابنة الصغرى وافقت أم كريم وتم تجهيزها كما فعلت مع أختها الكبرى وتم زفافها على هذا الشاب الذي بنى لها شقة في بيت أبيه وهو يعمل في مجال المقاولات مع أبيه وأعمامه وانتقل بها للعيش بمدينة الفيوم.

لقد كانت عملية البيع نكبة أصابت أم كريم فقد تدهور ظروفها الصحية بدرجة كبيرة نتيجة عدم وجود رعاية صحية بعد إجراء العملية، هذا إلى جانب عدم انتظامها على الأدوية التي كتبت لها وأصبحت غير قادرة على مواصلة عملها فاضطرت إلى الجلوس بالبيت والاكتفاء بما يحصل عليه والدها من ناتج عمله البسيط، ومع الوقت بدأت تشكو من العديد من الأمراض. وفي أحد الأيام من صيف عام ٢٠٠٧ ذهب بها زوج ابنتها الصغرى إلى مستشفى الفيوم العام فقرر الأطباء ضرورة غسيل كلوي نظرًا لإصابة كليتها الوحيدة بالفشل الكلوي، قاموا بعمل غسيل على نفقة الدولة وبدأت في عمل غسيل كلوي ثلاثة أيام في الأسبوع.

يشعر والد أم كريم وابنتيها أنهم كانوا السبب وراء ما حدث لها لأنها فعلت ذلك من أجل زواج البنات وهم لم يمنعوها من بيع كليتها والأب لم يتمكن من توفير ثمن جهاز البنات ولم يستطع منع ابنته من بيع كليتها، وهم الآن يعانون معاناة كبيرة نتيجة إصابة الأم ولولا زوج الابنة الصغرى الذي يتولى رعايتها نظرًا

لظروفه المادية الجيدة لكانت الأم الآن قد فقدت حياتها، فهو الذي يصطحبها بسيارته للمستشفى لعمل الغسيل الكلوي ثلاثة أيام في الأسبوع، الآن تقيم مع ابنتها الصغرى في بيتها بمدينة الفيوم.

تؤكد أم كريم أنها ما فعلت ذلك طمعًا ولا جشعًا لكنها كانت تريد ستر البنتين وما حدث لها هي تعلم «أنه قضاء الله وممكن كانت متبعش ويحصلها برضه كده، في المستشفى ناس كتير بتعمل غسيل معاها ومكنش عندهم حاجة قبل كده.. طبعًا الصحة أهم حاجة في الدنيا وربنا يكفي الناس شر المرض لأن المرض بيذل البني آدم ويجعله تحت رحمة الطب والدكاترة، لكن على أي حال ربنا يشفي كل مريض ويشفيني ويريحني».

وعن قريبها الوسيط الذي أشار عليها بموضوع البيع وهل يسأل عنها الآن تقول «ربنا يسامحه ويغفر له، هو كان عارف أني هيحصلي كده، وهو كان عايز يساعدني في حل مشكلتي وخلاص وهو بصراحة مضربنيش على ايدي، هو عرض الموضوع وأنا فكرت ووافقت واتصلت به في مصر وسافرت له يعني هو ملوش ذنب، الذنب كله عندي وربنا يعفو عنا ويسامحنا جميعًا».

وعما تقاضاه هو في هذه العملية تؤكد أم كريم «أنها وبصراحة شديدة لا تدري إذا كان خد حاجة لنفسه ولا لأ من أسرة المريضة، هو قال هتاخدي عشرين ألف جنيه والراجل كان كريم معايا ومع بنتي هو ومراته .. عاملونا أحسن معاملة لكن دلوقتي مش بشوفهم لأني بقالي سنتين من ساعة المرض وأنا مش بروح القرية عند أبويا وقاعدة مع بنتي وجوزها ربنا يستره ويخليه لمراته وعياله».

الحالة الخامسة: (أسوان – بائع)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: طارق

السن: ٤٧ سنة

الحالة التعليمية: دكتوراه

الحالة المهنية: مدير جمعية أهلية

الحالة الاجتماعية: متزوج

عدد الأبناء: أربعة

ثانيًا: الأصول والنشأة والظروف:

ولد طارق لأسرة تنحدر من جنوب مصر حيث محافظة قنا مركز قفط قرية القلعة وكان والده مزارعًا بسيطًا تزوج ابنة عمه وأنجب منها ثمانية أبناء أربع إناث وأربعة ذكور وكان طارق ترتيبه الأخير بين أشقائه، وعلى عادة فقراء الريف المصري يعتبر الأبناء قوة اقتصادية للأسرة حيث يخرج الأبناء سواء ذكورًا أو إناث لسوق العمل في سن مبكرة فالأب مزارع يعمل في أرض الغير وبالتالي يعمل الأبناء في نفس المهنة خاصة في مواسم الحصاد. لم يستمر الأبناء طويلاً في التعليم فلم يتجاوز أشقاء طارق المرحلة الابتدائية سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا.

كان طارق منذ الصغر ضعيف البنية فأشفق عليه أبواه من العمل في الحقل مثل باقي أشقائه فدخل المدرسة الابتدائية بالقرية وكان حظه أفضل من باقي أشقائه فاستطاع أن يحصل على الشهادة الابتدائية وأصر أبواه على نقله إلى المركز لمواصلة التعليم الإعدادي ثم الثانوي وحصل على الثانوية العامة عام ١٩٨٠ وطلب أشقاؤه من أبيهم وأمهم أن يرسلوا طارق إلى الجامعة وبالفعل انتقل طارق

إلـى القاهـرة وحصـل علـى بكالوريـوس الخدمـة الاجتماعيـة عـام ١٩٨٤ وعـاد طـارق إلـى مسـقط رأسـه متوجًا بالشـهادة الكبـرى وبذلـك قـد حقـق حلـم أسـرته البسـيطة.

وفي تلك الأثناء كان كل الأشقاء قد تزوجوا سواء الذكور أو الإناث واستقروا جميعًا بنفس القرية، الأشقاء يعملون مثل والدهم بالزراعة والشقيقات تزوجن من مزارعين وأنجب الجميع وأصبحت الاسرة النووية أسرة ممتدة كبيرة واستطاع الأشقاء بناء منزل الأسرة كي يتسع للجميع، وكان على طارق البحث عن فرصة عمل فاستطاع الحصول على وظيفة أخصائي اجتماعي بمدرسة إعدادية بمحافظة أسوان.

استقرت الحال بطارق في أسوان وفي الإجازات يعود إلى مسقط رأسه بمحافظة قنا حتى يطمئن على أبويه وأشقائه وأبنائهم، وفي إحدى الإجازات فاتحته أمه بأنه لابد من البحث له عن زوجة فهو الوحيد من بين الأشقاء الذي لم يتزوج بعد وقد أنهى تعليمه وحصل على وظيفة وشقته جاهزة ببيت العائلة ويستطيع أن يقوم بتجهيزها وفرشها من خلال راتبه ومساعدة أبيه وأشقائه، وتحت إلحاح أمه وافق طارق وقاموا باختيار إحدى بنات القرية وبالفعل تم زواج طارق واستقرت زوجته في بيت العائلة وعاد هو إلى عمله في أسوان، وكان يعود في نهاية كل أسبوع ليقضي يوم الإجازة مع زوجته. وكانت زوجته ترغب في الإقامة معه في أسوان لكن طارق لم يكن يستطيع إعداد سكن مستقل بأسوان فاستمرت الحال هكذا. أنجب طارق ثلاثة أبناء ذكور.

وفي مطلع التسعينات كان طارق في زيارة للقاهرة والتقى بعض زملاء المدرسة وعلم أن أحدهم يواصل دراسته العليا وفي القريب سوف يناقش رسالة الماجستير، وكان حلم الدراسات العليا أحد أحلام طارق وقرر الالتحاق بالدراسات العليا وبالفعل استطاع الحصول على السنة التمهيدية للماجستير بنجاح عام ١٩٩٢ ثم قام بالتسجيل لدرجة الماجستير وواصل دراسته حتى حصل على الماجستير عام ١٩٩٦ ثم قام بالتسجيل لدرجة الدكتوراه وحصل على الدرجة عام ٢٠٠٠ وكانت هذه البداية لطارق حيث كان يحلم بالعمل بالجامعة.. بدأ يدق أبواب المعاهد العليا للخدمة الاجتماعية في صعيد

مصر سواء في سوهاج أو قنا أو أسوان، واستطاع الحصول على عمل في بعض هذه المعاهد كمشرف على التدريب الميداني ولكنه لم يتمكن من الحصول على وظيفة دائمة فى هذه المعاهد سواء الحكومية أو الخاصة.

كان طارق قد ترك عمل المدرسة حيث قدم استقالته أملاً في العمل بشهادته الجديدة وشعر بأن الأبواب كلها موصدة، سافر إلى السودان للعمل بإحدى جامعتها واستقر هناك لمدة عامين. وفي مطلع عام ٢٠٠٥ وأثناء تواجده بالسودان جاءت رسالة من ابنه الأكبر محمد الذي يدرس بالمرحلة الثانوية يطلب منه العودة لمرض زوجته وتدهور حالتها الصحية بشكل مفاجئ. عاد طارق لمسقط رأسه بمحافظة قنا فوجد بالفعل زوجته تعاني مشكلة بالكبد فقرر طارق السفر بزوجته إلى القاهرة لعرضها على أكبر الأطباء.

عند حضوره للقاهرة نصحه أحد الأصدقاء بالتوجه إلى الدكتور محمود المتيني أحد أكبر أطباء الكبد في مصر، حجز طارق بعيادة الدكتور وعرض زوجته عليه وبعد الكشف قرر الدكتور عمل إشاعات وتحاليل جديدة قام بها طارق ثم عاد مرة أخرى للطبيب الذي أكد له أن زوجته مصابة بسرطان في الكبد ولابد من دخولها فورًا إلى أي مستشفى .. أكد طارق للطبيب عدم قدرته على دخولها مستشفى خاصًا فقرر الطبيب حجزها بمستشفى الدمرداش، جامعة عين شمس. وفي داخل المستشفى بدأ طارق يتعرف على عالم جديد فهو مرافق لزوجته معظم الوقت وكان عليها أن تتلقى جرعات من العلاج الكيماوي، وبدأ يتعرف على العديد من المتخصصين في مجال علاج الكبد، وأخبره أحد الأطباء بأن حالة زوجته تحتاج إلى زراعة كبد لكن هذه الجراحة تتكلف مبالغ باهظة خاصة وأن مصر حديثة العهد بمثل هذه الجراحات والوحيد الذي يقوم بها الآن في مصر هو الدكتور محمود المتيني، ولم يكن باستطاعة طارق توفير ثمن الجراحة لزوجته، فكل مدخراته من عمله في السودان خلال العامين نفدت في أقل من ثلاثة شهور، وفي ذات الوقت حالة زوجته تتدهور، وفي أحد أيام شهر أغسطس عام ٢٠٠٥ توفت

زوجته. عاد طارق إلى قريته ليدفن زوجته ويبدأ رحلة جديدة للبحث عن عمل بعد أن فقد عمله في السودان هذا إلى جانب ضرورة البقاء بجوار أبنائه الثلاثة محمد وأحمد ومحمود لرعايتهم بعد رحيل الأم والزوجة والسند.

استطاع طارق الحصول على فرصة عمل في إحدى الجمعيات الأهلية بأسوان وكانت وظيفته الجديدة تضطره لترك أبنائه مع أبويه وأشقائه في قنا وكان طارق يرغب في الاستقرار بجوار أبنائه لكن الظروف القاسية وضيق ذات اليد منعه من توفير مسكن خاص يجمعه وأبناؤه في بلد واحد واستمرت الحياة على نفس الوتيرة.

ثالثًا: عملية البيع وتداعياتها:

مع مطلع عام ٢٠٠٦ كان طارق يعمل بالجمعية الأهلية بأسوان وكان يضطره العمل إلى الذهاب للقاهرة للمشاركة في بعض الفعاليات التي تنظمها بعض الجهات المانحة في مجال تنمية المجتمع والاتحاد العام للجمعيات وكان عند نزوله للقاهرة يقيم لدى أحد أصدقائه القدامى، وفي إحدى الزيارات كان صديقه يشتكي من الكبد؛ نصحه طارق بسرعة التوجه للمستشفى فقد كان مرض زوجته بالكبد قد سبب له هاجس من هذا المرض، اصطحب صديقه إلى أحد الأطباء في مستشفى الدمرداش كان قد تعرف عليه أثناء مرض زوجته، كشف عليه وبدأ حديث بينه وبين طارق عن خطورة هذا المرض وأن الناس في مصر غلابة، ولا تستطيع العلاج منه خاصة في حالات الزراعة، فهذه الحالات تتطلب مبالغ كبيرة سواء للمتبرع أو تكاليف الجرحة نفسها، وبدأ طارق يتردد على الطبيب مع تصديقه كلما كان متواجد، بالقاهرة وصارة صداقه بينه وبين هذا الطبيب، عرف طارق أن صديقه الجديد يعمل كوسيط في توفير متبرعين للكبد لبعض من يرغب في إجراء هذه الجراحات من أصحاب الأموال الكبيرة.

في إحدى الزيارات كانت ظروف طارق غاية في الصعوبة دخله لا يكاد يسمح له بتوفير متطلبات أبنائه خاصة وأن الأكبر محمد حصل على الثانوية العامة والتحق

بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية بأسوان وكان يتطلب ذلك مصروفات إضافية للإقامة بعيداً عن الأسرة، شعر طارق بضرورة لم الشمل فالأبناء سوف يتفرقون ولن يجدوا من يرعاهم، كان من الضروري البحث عن مسكن مناسب يجمعه وأبناؤه بأسوان حيث مقر عمله، تحدث طارق عن ظروفه السيئة مع صديقه طبيب الكبد الذي اقترح عليه التبرع بغض من كبده لمن يرغب في الشراء؛ خاصة وأن هذه العملية سهلة على المتبرع ويحصل المتبرع على مبالغ كبيرة منها.. وافق طارق على اقتراح صديقه الطبيب وأخذ صديقه منه بعض التحاليل والإشاعات ووعده بأنه عندما يتوافر نفس الشروط لدى أحد المرضى ممن يرغب في الزراعة سوف يتحدث إليه.

وبعد عدة شهور اتصل الطبيب بطارق وأكد له أنه وجد رجل أعمال يريد متبرعًا ومبدئيًا هناك إمكانية لتبرعه بفصًا من كبده وسوف يحصل على أعلى مبلغ ممكن من هذا الرجل خاصة إذا توافقت الأنسجة، وحضر طارق إلى القاهرة ودخل مستشفى وادى النيل وتم إجراء التحاليل والفحوصات وبعد عدة أيام أكد الأطباء إمكانية إجراء طارق الجراحة، ظل طارق بالمستشفى لمدة أسبوعين تم تجهيزه هو والمريض تمامًا لإجراء الجراحة. قبل إجراء الجراحة بيومين بدأ التفاوض بين طارق وصديقه الطبيب ورجل الأعمال، أصر طارق على أخذ مبلغ ٢٥٠ ألف جنيه وحاول صديقه الطبيب إقناعه بأن المبلغ كبير، أصر طارق ووافق رجل الأعمال. دخل طارق وأجرى الجراحة وخرج بعد عشرة أيام، حصل على المبلغ كاملاً وأجر شقة مفروضة بمدينة نصر وظل بها لمدة ثلاثة أشهر كان يتردد خلالها على المستشفى للمتابعة وكان صديقه الطبيب يتابع حالته الصحية وكان قد أجرى له الجراحة الدكتور محمود المتيني وأكد له نجاح العملية رغم أنه كان يشعر ببعض الألم. لم يخبر طارق أي شخص من أسرته سواء أبويه أو أشقاءه أو حتى أبناءه، أكد لهم قبل الجراحة أن لديه بعض العمل في القاهرة سوف يستمر فترة طويلة بعد الثلاثة أشهر التالية للعملية، كانت أحوال طارق الصحية قد استقرت نسبيًا وكتب له الأطباء بعض الأدوية حتى يسير عليها لمدة لم تحدد حتى يستقر

ولابد من معاودة الكشف الطبي كل ثلاثة أشهر ثم غادر إلى أسوان حيث مقر عمله في الجمعية الأهلية التي أصبح الآن مديرها.

رابعًا: نتائج عملية البيع

بعد العودة لأسوان قام طارق بشراء شقة جديدة دفع فيها خمسين ألف جنيه وقام بفرشها بمبلغ ثلاثين ألف جنيه واشترى سيارة فيات ١٢٨ بمبلغ عشرون ألف جنيهًا وقام بوضع المائة وخمسون ألف الباقية وديعة بالبنك تدر عليه مبلغًا شهريًا يساعده على العيش بجوار راتبه، اصطحب طارق أبناءه للعيش بالشقة الجديدة محمد بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية بأسوان، وانتقل أحمد ومحمود للمدرسة الثانوية والإعدادية بأسوان، وبعد الاستقرار هناك وجد طارق ضرورة وجود امرأة لرعاية الأبناء ورعايته، عرض الأمر على امه فاقترحت عليه الزواج من ابنة عمه المطلقة حديثًا فتزوجها وانتقلت للعيش معه وأبناؤه بأسوان.

يؤكد طارق أن الظروف الاقتصادية السيئة هي السبب في إقدامه على هذه العملية فهو على الرغم من حصوله على أعلى الدرجات العلمية إلا أنه لم يستطع الحصول على عمل في مجال تخصصه كان يمكن أن يوفر له ولأسرته حياة كريمة لذلك لجأ لهذه العملية حتى يوفر حياة أفضل لأبنائه، فحياته أهون عليه من أن يشرد أبناؤه ويضيع مستقبلهم نتيجة تفرق كل منهم في بلد بعيد عن الآخر، خاصة وأن ابنه الأكبر محمد لم يحصل على مجموع مناسب لدخوله كلية محترمة نظرًا لعدم وجود رعاية مناسبة خاصة في ظل مرض ووفاة أمه أثناء وجوده بالثانوية العامة.

وفيما يتعلق بموقف أسرته من إجرائه لعملية البيع، يؤكد طارق أنه لم يجرؤ أن يخبر أحد بما فعله، فالوحيد الذي يعرف حقيقة فعلته هو صديقه القديم الذي كان يشتكي من بعض الدهون على الكبد ويسكن بالقاهرة، وكذلك صديقه الطبيب الذي وفر له إجراء الجراحة. وعن إمكانية مصارحة أفراد أسرته بما حدث يؤكد طارق أن هذا مستحيل فإذا علم أحد قبل إجراء الجراحة كانوا

سيمنعونه من هذا العمل ويقول طارق إن زوجته الجديدة عندما سألته عن مكان الجراحة أكد لها أنها جراحة قديمة قام بها أثناء وجوده فى السودان لمشكلات في الكلى اضطر على أثرها إجراء جراحة لإزالة بعض الحصوات من الكلى.

وعن حالته الصحية الآن يؤكد أنه أفضل من الفترة الأولى بعد الجراحة وإن كان ورغم مرور ثلاث سنوات على الجراحة يضطر لأخذ بعض الأدوية بشكل مستمر، وعندما يذهب إلى القاهرة يضطر للذهاب لصديقه في المستشفى للكشف عليه، خاصة وأنه يشعر في بعض الأحيان بآلام، فصحته لم تعد كما كانت «وعندما أشعر بهذه الآلام أشعر بالندم فالصحة أغلى شيء في الوجود وهي الشيء الذي لا يمكن تعويضه حتى بكنوز الدنيا».

وعن صديقه الطبيب وهل حصل على أموال منه نتيجة توفير من يريد الشراء أكد طارق أن صديقه لم يحصل منه على شيء من المبلغ الذي دفع له، لكنه بالتأكيد قد حصل على مبلغ من المشتري خاصة وأنه رجل أعمال ثري جدًا على حد علمي خاصة وأنني لم ألتق معه إلا مرة واحدة قبل العملية وأثناء الاتفاق على مبلغ إجراء العملية، كل ما أعلمه أن هذه العملية لم تكن الأولى التي يتوسط فيها صديقى الطبيب لإيجاد متبرع لبعض الراغبين من الأثرياء في إجراء عمليات زراعة سوء كانوا مصريين أو أجانب.

أنا بالطبع غير راض عما فعلت ولكن الحاجة صعبة وعلى كل الأحوال عائد البيع مكنني من جمع الشمل مع أبنائي لأول مرة في حياتي ورغم الألم الجسدي والنفسي إلا أن وجود أبنائي حولي يخفف عني كل شيء وكل ما أتمناه أن أكمل رسالتي معهم حتى يتخرجوا جميعًا ويحصلون على فرص أفضل في الحياة مع أنني أعلم أن هذا صعب في ظل ظروف مصر، فالحياة هنا صعبة جدًا خاصة للناس اللي ظروفها الاقتصادية متدنية. فالتعليم لم يعد مؤشرًا على ارتفاع المستوى الاقتصادي للمواطن عشان كده لازم الناس تأمن مستقبل أبنائهم لأن البطالة هي المحصلة النهائية للتعليم في مصر.

الحالة السادسة: (الجمالية – القاهرة - متبرع)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: محمود

السن: ٢٩ سنة

الحالة التعليمية: ليسانس حقوق

الحالة المهنية: صاحب مشروع خاص

الحالة الاجتماعية: متزوج

ثانيًا: الأصول والنشأة والظروف:

ولد محمود في منطقة الدراسة بحي الجمالية وهي منطقة شعبية شهيرة بقلب القاهرة الفاطمية، وقد نشأ في أحد شوارعها الرئيسة وهو شارع المنصورية حيث يسكن في تلك المساكن الشعبية التي تم بناؤها في ستينيات القرن الماضي، والمسكن عبارة عن شقة مكونة من ثلاث حجرات وصالة ومطبخ وحمام، وبالطبع كانت هذه المساكن يومًا ما في حالة جيدة ونظيفة لكن يد الإهمال حولتها إلى بنايات متهالكة وسيئة المنظر.

ولد محمود لأسرة متوسطة الحال، الأب موظف بسيط بشركة النصر للسيارات استطاع أن يحصل على دبلوم تجارة وعمل بهذه الشركة منذ منتصف السبعينيات والأم موظفة بوزارة الزراعة حصلت على نفس المؤهل الدراسي للأب، وكانوا يقطنون نفس الحي العريق منذ مرحلة الطفولة وجمعت بينهم مشاعر الحب فهي ابنة الجيران وفتاة الأحلام وهو أيضًا فارس الأحلام، بعد حصول الأب على مؤهله الدراسي وأدائه للخدمة العسكرية وحصوله على وظيفة كانت الأم قد حصلت على مؤهلها الدراسي وتم توظيفها عن طريق القوى العاملة في وزارة الزراعة، فسارع الأب لطلب خطبتها وتم الترحيب به وتمكنوا من الحصول على المسكن المناسب في نفس الحي ونفس المنطقة التي عاشوا فيها طوال حياتهم.

كانت الحياة سعيدة وجميلة رغم الظروف الصعبة أنجبت الأم ثلاثة أبناء وراء بعضهم البعض هم محمد ومحمود وأحمد، وكادت تكتفي بهم لكن رغبتها في إنجاب ابنة جعلته تصر على الحمل مرة أخرى لكن إرادة الله هذه المرة أيضًا جاءت بولد رابع أسموه إسلام وعلى الرغم من أن الفاصل بين جميع الأبناء لم يكن يتعدى العامين إلا أنها قررت التسليم بإرادة المولى عزوجل وبعد مرور خمسة أعوام أراد الله أن تحمل بالصدفة وكانت المفاجأة السارة أنها رزقت بالبنت التي كانت تتمناها وأسموها نعمة فرح الجميع بقدومها واستمرت الحياة على نفس وتيرتها.

الأب والأم يكافحان من أجل تربية الأبناء والظروف تتغير والأحوال تتبدل والغلاء وارتفاع الأسعار تكوي بهما الأسر المصرية المتوسطة والفقيرة خاصة الموظفين العاملين بالقطاع الحكومي، لكن الحب الذي بنيت عليه هذه الاسرة جعلهم يواجهون صعاب الحياة بصبر وإيمان وجلد. قرر الأب والأم رعاية أبنائهما وتعلمهم مهما كان الثمن، فالتعليم بالنسبة لهم هو طوق النجاة وطريق تحسين الأوضاع لأبنائهما حتى يحصلوا على حظ أفضل في هذه الحياة.

بالفعل التحق الأبناء بالتعليم الحكومي، فمدرسة الإمام علي الابتدائية مجاورة للمنزل وعلى مقربة، وفي نفس الحي توجد مدرسة الحسين الإعدادية، وعلى بعد أمتار قليلة من المسكن كانت مدرسة الدراسة الثانوية. واصل الأبناء الأربعة الذكور تعليمهم حتى وصلوا إلى أعتاب الجامعة، الابن الأكبر محمد دخل كلية التجارة ثم التحق شقيقه محمود بكلية الحقوق ثم دخل أحمد كلية الآثار، أما إسلام فقد التحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية ولازالت الشقيقة الصغرى تدرس في المرحلة الثانوية.

زرع الأبوان منذ البداية الحب بين قلوب أبنائهما هذا إلى جانب الإرادة والاعتماد على النفس، خرج الأبناء للعمل في الإجازات الصيفية كعادة الأبناء في الأحياء الشعبية رغبة في مساعدة الأسرة على تحمل تكاليف الحياة ومواصلة التعليم، ولم يكن عملهم يؤثر على تقدمهم الدراسي.

استمرت الحياة بحلوها ومرها حتى تخرج محمد الابن الأكبر في الجامعة واستطاع الحصول على فرصة عمل كمحاسب في شركة ميراكو كاريير للتكييف بفرع الشركة بعمارات العبور في شارع صلاح سالم، واستمر في عمله بالشركة خمس سنوات كانت أوضاعه قد تحسنت كثيرًا وكان يحصل على مرتب كبير، ثم حدثت بعض المشكلات داخل الشركة وتدهورت الأحوال وأفلست الشركة وقاموا بإغلاق الفرع الذي يعمل به. ظل محمد خلال الأزمة بجوار أصحاب العمل ولم يترك عمله كما فعل غيره، وظل ستة أشهر يعمل بدون أجر، قدر له أصحاب العمل هذا الموقف وعندما أغلقت الشركة أحضروا له عملاً بشركة شاي الفراشة فرع العاشر من رمضان.

أما محمود فقد تخرج من كلية الحقوق ورفض العمل بالمحاماة لأنه خلال الإجازات الصيفية قد تعود على العمل الحر واستطاع أثناء دراسته الجامعية أن يقيم مشروعًا خاصًا مع مجموعة من زملائه، فقد قاموا بالعمل في مجال توزيع السلع على تجار التجزئة من أصحاب محال البقالة وخلال أربع سنوات كانوا قد تمكنوا من شراء سيارة نصف نقل ومخزن كبير بنفس الحي، وكان هذا المشروع يدر عليهم ربحًا كبيرًا، ولذلك عند التخرج قرر محمود وزملاؤه تطوير مشروعهم وإعطاءه كل وقتهم من أجل تكوين أنفسهم وصنع مستقبلهم، وإلى جانب هذا المشروع كان محمود يجيد فن التمثيل والتحق بفريق التمثيل داخل الجامعة واستطاع أن يبرز في هذا المجال لدرجة أنه قام بالتمثيل في بعض المسرحيات على خشبة المسرح القومي وكان يتقاضى أجرًا على هذا العمل لكنه قرر بعد التخرج التفرغ التام لمشروعه الخاص.

أما أحمد فقد تخرج في كلية الآثار وعمل في مجال السياحة والفندقة بمدينة الغردقة واستقرت به الحال هناك. ثم تبعه إسلام بعد تخرجه في كلية الآداب حيث فضل العمل بالسياحة في أحد الفنادق الكبرى بالغردقة، خاصة وأنه يجيد عدة لغات من عمله في الإجازات الصفية في منطقة خان الخليل بنفس الحي.

ظلت الحياة تسير على وتيرة واحدة، كفاح من أجل العيش وتكوين المستقبل، الكل يعمل.. الأبوان والأبناء والشقيقة الصغرى تلقى كل الدعم من الجميع من أجل تحقيق حلم الالتحاق بكلية الطب والكل يناديها بلقب الدكتورة.

ثالثًا: عملية التبرع وتداعياتها:

خلال شتاء عام ٢٠٠٥ شعر محمد الشقيق الأكبر ببعض التعب، في البداية لم يهتم وأخذ بعض المسكنات دون استشارة الطبيب كعادة فقراء شعب مصر، لكن الألم يتزايد حتى وصل إلى درجة لا يمكن تحملها، ذهبوا به إلى مستشفى الحسين القريب من البيت وقرر الأطباء مكوثه بالمستشفى ثلاثة أيام لإجراء الفحوصات والتحاليل اللازمة وأكد الأطباء بشكل مبدئي أن هناك بعض المشكلات في الكلى، قرر محمد العودة إلى البيت وعندما علم أحد أصدقائه في العمل بمرضه قال له لماذا لا تلجأ إلى التأمين الصحي فهو أفضل من المستشفيات الحكومية وأنت مؤمن عليك.. بالفعل دخل محمد مستشفى عين شمس التخصصي عن طريق التأمين الصحي من خلال عمله وظل بالمستشفى خمسة عشر يومًا تم خلالها إجراء فحوصات جديدة وأجروا له جراحة بالمنظار لأخذ عينة من الكلي لفحصها وبعد ذلك قرر الأطباء ضرورة إجراء غسيل كلى، في البداية كانت صدمة كبيرة للأسرة كلها، محمد لم يشك من قبل لكن الأطباء أكدوا أن ما حدث من تلف بالكليتين حدث على فترات طويلة من الزمن قد يصل لعشر سنوات ورغم ذلك لم يكن محمد يشعر بأي ألم ولم يشك يومًا، رفض محمد إجراء الغسيل الكلوي وطلب من أبويه وإخوته الذين تركوا أعمالهم وحضروا للوقوف بجانب أخيهم أن يعودوا به إلى البيت، كتبوا تعهدًا على أنفسهم وأخرجوه من المستشفى.

بعد العودة إلى البيت بثلاثة أيام تدهورت حالة محمد بشكل سريع، انتفاخ في البطن وارتفاع درجة الحرارة وزيادة كبيرة في ضغط الدم، نصحهم أحد الجيران بأن يذهبوا إلى الدكتور فاروق الجيوشي أستاذ أمراض الكلى بجامعة الأزهر، قام بالاطلاع على الإشاعات والتحاليل ثم طلب منهم نقله فورًا إلى أي مستشفى

لإجراء الغسيل الكلوي وإلا فقد حياته خلال ساعات، نقلوه على الفور لمستشفى عين شمس التخصصي وقاموا بعمل الغسيل ثلاث مرات في الأسبوع واستقرت حالة محمد وكانت عملية الغسيل في المستشفى تتكلف ١١٠ جنيه في الجلسة الواحدة وهذا يفوق إمكانية الأسرة، نصحهم أحد الأطباء بعمل قرار علاج على نفقة الدولة لكن محمد كان رافضًا لفكرة استمرار عملية الغسيل.

خلال أقل من شهر على انتظام محمد في الغسيل الكلوي كان الأطباء قد أوضحوا لأسرته أنه إما أن يقوم بالغسيل مدى الحياة أو يتم عمل زراعة للكلى، قرر محمد وأسرته الذهاب مرة أخرى للدكتور فاروق الجيوشي لثقتهم به، نصح الدكتور بعدم إجراء العملية والتسليم بالأمر الواقع واستمرار عملية الغسيل ذلك لأن عملية الزراعة مكلفة للغاية وفي نفس الوقت تكون صلاحية الكلية المزروعة مدتها من سنة حتى عشر سنوات وبعد ذلك تعود من جديد لنقطة الصفر.

لم يقتنع محمد بكلام الدكتور فاروق الجيوشي وقرر إجراء العملية بأي شكل فهي طوق النجاة الوحيد من عملية الغسيل المميتة التي تستغرق أكثر من خمس ساعات فوق جهاز الغسيل ثلاث مرات أسبوعيًا، كان محمد يعتقد أن إجراء الجراحة أمر هين عن طريق التأمين الصحي لكنه عند توجهه لعمل الإجراءات اكتشف أن التأمين الصحي لا يقوم بمثل تلك الجراحات الكبيرة، هذا إلى جانب أن محمد لم يكن قد مر على التأمين عليه في عمله الجديد سوى عام واحد فقط، تأزمت الأمور فإمكانات الأسرة لا تسمح، وخلال شهر من مرض محمد كانت مدخراتها قد نفدت وبدأت حالة التوتر تسود الأسرة خاصة وأن محمد عندما عرف بصعوبة إجراء العملية ساءت حالته النفسية، في تلك الأثناء علم أصحاب الشركة بما أصاب محمد وفي إحدى زياراتهم له أخبرهم محمد بصعوبة إجراء العملية بسبب ارتفاع تكاليفها المادية، قرر أصحاب الشركة إجراء العملية على نفقتهم الخاصة فهم يحبون محمد كثيرًا ويحبون عمل الخير فهم ملتزمون دينيًا (ملتحون) لكنهم اشترطوا أن يكون صاحب الكلية متبرعًا فهم لن يشتروا كلية لكنهم سوف يدفعون كل تكاليف الجراحة.

عندما علم أفراد الأسرة بهذا العرض لم يتردد أحد منهم في عرض نفسه للتبرع لمحمد بكليته فقام الأب والأم وكل الأشقاء حتى الشقيقة الصغرى قاموا جميعًا بعمل الفحوصات والتحاليل اللازمة لإجراء عملية التبرع، أكدت الفحوصات عدم صلاحية الأب والأم لإجراء الجراحة نظرًا لكبر السن أما الأشقاء فقد كانوا جميعًا متوافقين مع محمد في انسجته وكانوا صالحين لكن أحمد وإسلام كانا يدخنان ولهما بعض الأملاح على الكلى، ورفض محمد تبرع أخته الصغرى، فكان محمود هو الأصلح صحيًا وفق تقارير الأطباء لإجراء الجراحة.

بعد ذلك قام أحد أصحاب الشركة بالبحث عن مستشفى مناسب لإجراء العملية فوجد أن مستشفى الجنزوري من أشهر المستشفيات في إجراء مثل تلك الجراحات، وعند دخول المستشفى قاموا بإعادة كل الإشاعات والتحاليل من جديد وتم حجز محمد ومحمود لمدة أربعة أيام لتجهيزهما للعملية، أكد الأطباء عدم صلاحية محمود لإجراء الجراحة الآن نظرًا لظروفه النفسية فقد كان خائفًا ومتوترًا فكانت ظروفه النفسية تؤدي إلى ارتفاع في ضغط الدم، كتبوا له بعض الأدوية المهدئة وأخرجوه وطلبوا منه العودة بعد أسبوع، عادوا من جديد وأثبتت الفحوصات أن الأمور مهيأة لإجراء العملية خلال أربعة أيام وفي اليوم المحدد ارتفع ضغط الدم عند محمد هذه المرة فتم تأجيل العملية لمدة يوم واحد فقط وفي اليوم التالي دخل الأخوان غرفة العمليات وكانت الساعة الرابعة عصرًا، خرج محمود الساعة الثامنة واستمر محمد حتى الحادية عشرة مساءً.

لقد كانت غرفة العمليات عبارة عن حجرتين مفتوحتين على بعضهما البعض يعمل بكل حجرة فريق من الأطباء: الأول يقوم بعملية استئصال كلية محمود والثاني يقوم بعملية الزراعة لمحمد، وبعد الانتهاء من العملية خرج محمود ودخل غرفة عادية وبعد ساعات فاق من البنج وبدأ يتحدث مع أفراد الأسرة، أما محمد فقد خرج مباشرة إلى غرفة الرعاية المركزة، ولم يسمح لأحد برؤيته إلا بعد ثلاثة أيام، خرج محمود من المستشفى بعد ستة أيام في حين استمر محمد

ثمانية عشر يومًا تحت الإشراف الطبي وبعد العودة إلى المنزل بدأ محمود يمارس حياته بشكل طبيعي وعاد إلى عمله لكنه يتبع نظمًا غذائيًا محددًا ويتعاطى بعض الأدوية عند اللزوم في حالة ارتفاع الضغط أوارتفاع درجة الحرارة، أما محمد فقد بقي في المنزل ثلاثة شهور بعد الخروج من المستشفى حتى عاد لممارسة حياته بشكل طبيعي وعودته للعمل وهو يتعاطى مجموعة كبيرة من الأدوية إلى جانب نظام غذائي خاص، هذا إلى جانب حقنة شهرية لتثبيت العضو المزروع تصل في بعض الأحيان إلى الألف جنيه يقوم أصاب الشركة بتوفيرها لمحمد بخلاف المياه المعدنية وفلتر مياه خاص لإعداد الطعام قاموا بشرائه على نفقتهم الخاصة إلى جانب إعطاء محمد راتبه الشهري خلال فترة تغيبه عن العمل والتي استمرت أكثر من ستة أشهر.

رابعًا: نتائج عملية التبرع:

يؤكد محمود أن دوافعه لإجراء عملية التبرع حبه الشديد لأخيه فهو يعلم أنه إذا كان هو في موقف أخيه فإن محمد لم يكن ليتردد لحظة واحدة في فعل ما قام هو بفعله، هذا إلى جانب أنهم أسرة مترابطة تربوا على الحب والتعاون وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك بل وتقدم أخاك على نفسك، وهذا حدث من محمد تجاهي فأثناء إعدادي لمشروعي الخاص مع زملائي كان لابد من دفع مبلغ للشركة ولم يكن متوفرًا كل المبلغ معي، وكان أخي محمد يعمل في شركة تكييف ومرتبه كبير وادخر مبلغًا لشراء شقة وعندما علم بحاجتي قام بسحب كل ما أدخره وقدمه لي لأبدأ مشروعي، ولم يطلب مني سداد المبلغ وعندما بدأت تتوافر لي بعض النقود من مشروعي الجديد وحاولت سداد جزء من المبلغ رفض محمد بشدة بل زعل مني ولم يرض إلا بعد أن اعتذرت ورفض حتى اليوم أخذ مليم واحد من نقوده.. هذا هو محمد أخي وهذه علاقة الإخوة فهل أبخل عليه بروحي، فهي والله العظيم فداء.. له، هذا إلى جانب أنني لم أكن الوحيد المستعد للتبرع لمحمد بكليتي فقد كنا جميعًا على استعداد لذلك فأبي وأمي وكل أشقائي حتى

شقيقتي الصغرى قمنا بعمل تحاليل من أجل التبرع لقد كنا جميعًا على استعداد بالتضحية بأنفسنا من أجل تسكين أوجاع محمد، لقد شعرت في لحظة أن أخي وصديق عمري في خطر وقد يفقد حياته، خاصة وأن محمدًا لم يكن على استعداد لتقبل وضعية المرض وكانت حالته النفسية سيئة للغاية وكانت حالته الصحية تتدهور بسرعة غريبة، فقد كان رافضًا للحياة ورفض عملية الغسيل ورفض أخذ الأدوية ولم تتصلح أحواله النفسية والصحية إلا بعد قرار إجراء العملية.

وعلى فكرة هناك آخرون غيرنا كانوا على استعداد للتبرع لمحمد.. أولاد خالتي محمود وشيماء وكمان صديقه خالد تقدموا لإجراء التحاليل نظرًا لحبهم الشديد لمحمد فهو إنسان مهذب وخلوق ومحب لكل الناس عشان كده ربنا وقف معاه وسترها معانا.

وبالنسبة لنتائج العملية الحمد لله نجحت، واحنا بنمارس حياتنا بشكل طبيعي جدًا، أنا رجعت شغلي وتزوجت في الصيف اللي فات ومحمد كان الأطباء نصحوه أنه ميقدرش يتزوج قبل ثلاث سنوات وهو دلوقتي خاطب وأحواله الصحية كويسة.. والحمد لله، وبيروح شغله بانتظام وأصحاب الشركة بيحبوه جدًا ووضعه بقى زي الفل، هو دلوقتي رئيس قسم الحسابات بالشركة ومرتبه كويس قوي إحنا حصلنا على شقتين في القاهرة الجديدة، كنا مقدمين في مشروع مبارك للإسكان الخاص بالشباب وأنا استلمت من سنة ومحمد استلم من شهرين بس.

الحالة السابعة (بورسعيد - مسروق)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: محمد

السن: ٢٩ سنة

الحالة التعليمية: أمي

الحالة المهنية: لا يعمل

الحالة الاجتماعية: أعزب

ثانيًا: الأصول والنشأة والظروف:

ولد محمد لأسرة بسيطة في أحد أحياء بورسعيد وهو حي المناخ الشعبي حيث الإقامة في ش أسيوط وكسرى أحد الشوارع الرئيسية بالحي وفي أحد الحواري الضيقة المتفرعة من الشارع كانت إقامة محمد وأسرته في حارة البناء بكرى في منزل قديم والشقة عبارة عن حجرتين ومطبخ وحمام والأثاث بالطبع بسيط على عادة فقراء شعب مصر، فلا يوجد تقسيم للمسكن ولا حجرات أساسية للنوم والاستقبال والطعام كما هو معروف لدى الشرائح الطبقية الوسطى من أبناء الشعب المصري، لكن المسكن تختلط استخداماته فالحجرتين من داخل بعضهما البعض، الحجرة الأولى بها كنبتين بلدى وبعض الكراسي وطاولة صغيرة متهالكة، والحجرة الثانية بها سريرين ودولاب قديم وبالطبع تستخدم الحجرة الأولى لاستقبال الضيوف وكذلك للطعام وفي الليل يستخدم الكنب للنوم، أما الحجرة الثانية فتستخدم للنوم والخزين ويوجد بها الثلاجة والغسالة والتليفزيون فهي تستخدم للمعيشة اليومية أيضًا.

ولد محمد لأسرة مكونة من الوالدين وثلاث أخوات من البنات توفت اثنتين منهما في مرحلة مبكرة نتيجة المرض وبقي محمد وأخته الكبرى المتزوجة الآن ولديها طفلين،

الأب من أصول قروية حيث مسقط رأسه الحقيقي شبين الكوم محافظة المنوفية، رحل الجد إلى بورسعيد واستوطن فيها وولد الأب في حي المناخ بشارع المنيا والحميدي وبالطبع كانت نشأته في غاية الصعوبة فلم يتعلم وانخرط في العمل منذ سن صغيرة حيث عمل في عدة مهن لكنه استقر أخيرًا في مهنة قهوجي واستمر بها طوال حياته، في مرحلة شباب الأب انتقل للعيش بشارع أسيوط وكسرى بالقرب من محل عمله، استطاع العثور على هذا المسكن البسيط الذي ظل يعيش به طوال حياته، لم يفكر الأب في الزواج في سن مبكرة نظرًا لصعوبة الحياة وعدم توافر إمكانيات الزواج هذا إلى جانب أنه كان يعاني من بعض المشكلات الصحية فهو مريض سكر وضغط منذ سن صغيرة تبعتها أمراض أخرى مع مرور الزمن، حين اقترب من الثلاثين من عمره تعرف على ابنة الجيران وكانت طفلة صغيرة نحيفة ضعيفة القوام لأسرة فقيرة لم تتلق أي قدر من التعليم، فاتح والدها في الزواج منها رحب الأب على الرغم من أنها لم تكن قد بلغت السادسة عشر من عمرها، تزوجها الأب والد محمد وانتقلت للعيش معه في منزله وأنجبت ثلاثة بنات قبل أن ترزق بمحمد توفيت الأولى والثانية قبل أن يبلغ سنهما الثلاث سنوات وبقيت الابنة الثالثة ومحمد، حاول الأب والأم توفير متطلبات الحياة للابنة والابن، قاموا بإلحاقهما بالتعليم سرعان ما فشل محمد ولحقته أخته وخرج محمد للعمل في سن دون العاشرة وجلست الأخت بجوار أمها في المنزل.

عمل محمد في البداية في مهنة السباكة مع خاله واستمر في هذه المهنة عدة سنوات حتى توفى خاله فاضطر لترك الصنعة وتوجه إلى صنعة جديدة حيث عمل في مجال الدهانات «استرجي» واستمر بهذه المهنة أيضًا عدة سنوات أخرى حتى بلغ من العمر السابعة عشر لكنه اضطر إلى ترك المهنة الجديدة لظروف صحية حيث أصيب مبكرًا بمرض السكر وكانت مهنته متعبة فتركها وعمل في مهنة جديدة وهي بيع أطقم الشاي والقهوة من المصنوعات الخزفية، عربة صغيرة يضع عليها البضائع ويقف بها بالشارع الرئيسي بالقرب من منزل الأسرة، استمرت حياة محمد على هذا المنوال بين البيت والعمل والمستشفى لتلقي العلاج من مرضه الجديد.

لكن من سوء حظ هذه الأسرة التعسة أن الأمراض أصابتها في سن مبكرة سواء الأب أو الأم أو الأبن وهو ما جعلهم لا يستطيعون العمل بشكل منتظم وهو ما أدى إلى تدهور أحوالهم المعيشة التي هي متدهورة من الأصل، مع مرور الوقت تدهورت حالة الأب الصحية واضطر إلى الجلوس بالبيت وأصبح محمد هو المسئول الأول عن إعاشة الأسرة من خلال عمله هذا إلى جانب علاج الأب والأم وكذلك علاجه من مرض السكر، كان الحمل ثقيل فاضطر الأب إلى مد يده لبعض أهل الخير فكانوا يعطونه راتبًا شهريًا مائة جنيهًا إلى جانب إعفاء صاحب البيت للأب من دفع الأجرة كل ما كان ولازال يدفعه محمد هو ثمن المياه والكهرباء، هذا إلى جانب توفير بعض الأدوية لهم، استمرت الحياة على وتيرة واحدة حتى تقدم أحد أبناء الحي لخطبة شقيقة محمد الكبرى، كان يعلم ظروف الأسرة وأنهم ليسوا على استعداد لتجهيز أبنتهم، حاول محمد بكل جهده أن يوفر متطلبات الزواج وتمت الزيجة بسلام وانتقلت الأخت للعيش بمنزل زوجها وبقى محمد مع والديه وأمراضهم يعانون جميعًا ويطالبون المساعدة من أهل الخير وفي مطلع صيف عام ٢٠٠٦ اشتد المرض بأم محمد ولم يمر هذا الصيف حتى توفيت الأم وبقي محمد وأبيه بجوار الحزن والمرض.

ثالثًا: عملية السرقة وتداعياتها:

لقد كان صيف ٢٠٠٦ بداية المتاعب والمصائب التي أصابت محمد وأسرته فبعد وفاة الأم مباشرة شعر محمد بتعب شديد والآم مبرحة بالبطن والجنبين ذهب محمد إلى المستشفى العام ببورسعيد بعد الكشف طلبوا منه إجراء إشاعة مقطعية على البطن وهذه الإشاعة لا تتوافر في المستشفى ولابد من عملها بأحد المراكز خارج المستشفى، ذهب محمد إلى مستشفى آل سليمان والتي يتوافر بها مركز إشاعة قرر الأطباء أن ثمن الإشاعة مائة وخمسون جنيهًا، قام محمد بتدبير ثمن الإشاعة من خلال بعض الجيران من أهل الخير وقام بعملها وأخذها وعاد إلى المستشفى العام، استقبله الطبيب بشكل سيء ولم يهتم بالإشاعة وأكد له أن

الأشعة ليس بها شيء وخرج محمد من المستشفى وأخذ الأشعة وعاد إلى البيت.. سأل عنه بعض الجيران وحكى لهم ما حدث قالوا له اذهب إلى الدكتور محمد الصاوي في عيادته، ذهب إليه واطلع على الإشاعة وقال له سوف أحولك على معهد الأورام بالقاهرة، بالفعل تم تحويل محمد إلى معهد الأورام وتم حجزه لمدة أسبوع وأخذوا منه عينة فرز وبعد ذلك أكد له الدكتور محمد الصاوي أن لديه تجمعًا دمويًا على الكبد عبارة عن وحمة نتيجة عيب خلقي وأن هذه الوحمة تكبر مع مرور الوقت والزمن، لكنها ليس لها أي أعراض جانبية وكتب له بعض الأدوية وعاد محمد إلى بورسعيد.

بعد عدة أيام شعر محمد بالتعب فاضطر إلى الذهاب لمستشفى الكمسيون الطبي وهناك التقى بدكتور يعمل بمستشفى آل سليمان قال له لابد من الذهاب للمستشفى وأنا سوف أعرض الإشاعة والتحاليل على أكبر أطباء الكبد، وبالفعل ذهب محمد إلى مستشفى آل سليمان عرض الإشاعة على الدكتور أيمن عبد العزيز أخصائي جراحة الكبد الذي عرضه على أستاذه الدكتور محمد عبد الوهاب أستاذ جراحة الجهاز الهضمي بجامعة المنصورة وبعد الفحص أكدوا أن الموجود عبارة عن ورم في الفص الأيمن من الكبد يتطلب جراحة عاجلة لاستئصاله وهذه العملية بسيطة وطمئنا محمد بأن لا يخاف وهما سوف يقومان بالعملية في مستشفى آل سليمان لكن كانت هناك مشكلة بل معضلة جديدة أمام محمد لأن العملية تتطلب مبلغ ستة آلاف جنيهًا قابله للنقصان أو الزيادة وأعطوا محمد تقرير بحالته هذه وبالمبلغ المطلوب للعملية، خرج محمد بعد أن أكد للدكتور أيمن عبد العزيز عدم قدرته على توفير المبلغ فأخبره الطبيب أنه عليه أن يتصرف.

عاد محمد إلى بيته يندب حظه خاصة وأن والده أيضًا مريض وطريح الفراش ولم يعد يصرف عليهم وعلى معيشتهم إلا أهل الخير، لجأ محمد إلى مكتب عضو مجلس الشعب محمد مصطفى شردي بنصيحة من الجيران حيث أكدوا له أنه يستطيع أن يوفر له ذلك على نفقة الدولة، في مكتب النائب قدم أوراقه إلى

مساعده الصحفي محمد جاد الذي قام بالاتصال بمستشفى آل سليمان والتأكد من صحة الأشعة والتقارير الطبية وبعد التأكد من الأوراق وصحتها قام بتقديم طلب للمحافظة وبالفعل حصل على شيك بمبلغ ثلاثة آلاف جنيهًا وقام باصطحاب محمد إلى المستشفى واتفق على إجراء العملية ولم أعرف هل وفر الثلاثة آلاف الأخرى بأي طريقة لم يذكر أمامي طريقة توفيرها، دخلت المستشفى وتم حجزي للاستعداد وللجراحة وقبل دخول العلميات طلبوا مني توفير ستة أكياس من الدم لم يكن معي مليمًا واحدًا، حضر بعض جيراني وأصدقائي وأقاربي وتبرعوا لي بالدم المطلوب ودخلت حجرة العمليات وأجريت الجراحة.

ظل محمد بالمستشفى لمدة أسبوع بعد الجراحة وعاد إلى البيت وبدأ يتردد على المستشفى من وقت لآخر لمدة ثلاثة شهور حتى التئم الجرح، خاصة وأن الجرح قد أحدث بعض الصديد في البطن فكتبوا له مضادات حيوية لكي تنشف الجرح وأوقف الأطباء الأدوية بعد ثلاثة شهور وبدأ محمد يمارس حياته بشكل طبيعي وعاد إلى عمله من جديد في بيع الخزف وأخذ يراعي والده المريض والجالس بالبيت يعاني من آلام المرض.

بعد مرور ما يقرب من عامين على إجراء محمد للجراحة بدأ يشعر بالتعب وهو ما جعله يترك عمله لفترات طويلة ونظرًا لعدم وجود دخل للمعيشة هو ووالده المريض نصحه أحد الجيران بالذهاب إلى الحاج محمود العربي صاحب شركة توشيبا العربي كي يعمل له شهرية ويساعده في العلاج خاصة وأنه رجل خير ويفعل ذلك كثيرًا ولديه مركز طبي خيري في بورسعيد، ذهب محمد إلى مكتب توشيبا العربي قاموا بتحويله إلى المركز الطبي التابع لهم ليعملوا له الإشاعات والتحاليل اللازمة وعلاجه على نفقتهم الخاصة، قاموا بتحويله إلى الدكتور محمد عبد العظيم استشاري الجراحة العامة ومناظير الجهاز الهضمي بعد إجراء الإشاعات وفحص المريض وعرضه على الدكتور محمد مأمون صرخ في وجه محمد وأكد له أن ما تم له في مستشفى آل سليمان ليس جراحة لإزالة التجمع الدموي الوحمة

ولكن ما تم هو بالضبط نصب واحتيال وسرقة للفص الأيمن من الكبد وهو سليم لأن التجمع الدموي لازال موجود والفص المسروق لم تكن به هذه الوحمة وأكد له من قبل الدكتور محمد الصاوي أخصائي الأورام من أن هذه الوحمة ليس لها قيمة طبية إطلاقًا، وكتب له تقرير طبي يؤكد عملية السرقة ويؤكد أنه شاهد أمام اللّه على ذلك، ثم قام الدكتور مأمون بتحويل محمد إلى مستشفى عام لاستكمال العلاج من الأشياء الأخرى التي يعانيها.

رابعًا: نتائج عملية السرقة:

بعد إجراء العملية ساءت حالة محمد الصحية خاصة أنه يعاني من مشكلات أخرى فهو مريض سكر ويعاني الآن من قصور في وظائف الكلى ولديه قرح الأثنى عشر، وهذا التدهور العام في صحته جعله غير قادر على العمل وبالطبع ظروفه المادية لا تسمح له بإتمام العلاج هذا إلى جانب الخوف من الذهاب إلى أي مستشفى في بورسعيد حتى لا يقوم أي طبيب من الذين اكتشف أمرهم بإعطائه حقنة هواء للتخلص من حياته.

وفيما يتعلق بالخطوات التي اتخذها محمد بعد علمه بعملية السرقة فيؤكد أنه ذهب إلى مكتب الأستاذ مصطفى شردي عضو مجلس الشعب الذي ساعده في إجراء الجراحة المشئومة وعندما علم بالموضوع أرسل معه أحد مساعديه الأستاذ عزام، ذهب مع محمد إلى الطبيب الذي اكتشف السرقة وأكد له الطبيب صحة الموضوع وقال له خلي الأستاذ شردي يتدخل في الموضوع بقوة علشان يوقف السفاحين دول عند حدهم وعشان يجيب للغلبان ده حقه، وأكيد فيه ناس كثيرة حصلهم كده. بعد كده بدأ الأستاذ شردي والعاملين معه خاصة الأستاذ محمد جاد الصحفي يتهربوا مني ولما لاقيت مفيش فايدة منهم ومش هيعملوا حاجة رحت للدكتور أكرم الشاعر عضو مجلس الشعب وعرضت عليه مشكلتي قال أنت كذاب الناس دي أنا عرفها كويس وباشتغل معاهم في المستشفى وهما ناس كويسة قوي، أنت رامي جتتك عليهم وبالطبع معمليش حاجة لأنه واحد منهم.

وبعد كده ولاد الحلال قالولى أعمل محضر إثبات حالة رحت قسم المناخ وعملت محضر برقم ٢٠٠٨/٢٧١٤ إدارى المناخ حولونى على النيابة، وفى النيابة قدمت كل الأوراق والتقارير وشهادة الدكتور/ مأمون – وكيل النيابة سهيل بيه كان راجع جدع وابن ناس وشهم اعتمد أوراقى وقام بتحويلي على الطب الشرعي فى بورسعيد.

وبعد ما رحت الطب الشرعي بدأ أصحاب المستشفى يلعبون لعب كبير تقرير الطبي الشرعي في بورسعيد جاء ليؤكد أن العملية التي اتعملت سليمة ومفيش مشاكل صحية للمريض بس في نفس الوقت أكدت أن الوحمة مازالت موجودة، سهيل بيه بدأ يشك في الموضوع وطلب عرضي مرة ثانية على الطب الشرعي في القاهرة حضرت لزينهم في السيدة زينب وعملت الكشف وطبعًا أصحاب المستشفى عرفوا الموضوع بعد ما رجعت لقيت ناس بتقول أن سهيل بيه هينتقل وهيمشي بسبب موضوعي، رحت للنيابة وقبلت سهيل بيه وقالي أنه انتقل وأكد لي أن الطب الشرعي في القاهرة هيأكد أني اتسرقت وقالي أوعى تسيب حقك.

بعد كده فضلت أروح النيابة أسأل عن تقرير الطب الشرعي بتاع القاهرة وفي إحدى المرات أدخلوني إلى أحمد بيه هلال الوكيل الجديد اللي قال أن القضية خلاص اتحفظت لما قلتله طيب فين تقرير الطب الشرعي قال أهه وأعطاني صورة منه، بعد ما خرجت من عنده وريت التقرير لواحد صاحبي قالي ده تقرير بورسعيد فين تقرير القاهرة رجعت تاني لأحمد بيه قالي أنا معنديش غير تقرير بورسعيد وأمشي ومتجيش هنا تاني، خرجت وأنا عارف أن اختفاء التقرير معناه أن فيه لعب كبير بينهم في القضية.

بعد كده قال روح للمحامي العام في بورسعيد وقدم له طلب رحت وقام المحامي العام بطلب الدوسية وبعد شوية قالي أن اتحفظ ولازم تروح للمحامي العام الأول في الإسماعيلية لأن القضية هتتعرض عليه رحت إسماعيلية المحامي العام الأول حفظ القضية ورجعت بورسعيد وعرفت من بعض الموظفين في نيابة بورسعيد أن المحامي الأول بتاع الإسماعيلية معرفة أصحاب المستشفى.

لما لقيت الموضوع وقف رحت القضاء العالي في مصر وقدمت الأوراق في المحكمة وأعطوني رقم وحددوا لي ميعاد بعد أسبوع وبعد كده أعطوني رقم جديد وحولوني للمحامي العام الأول في الإسماعيلية رحت لسيادته وقالي تيجي بعد شهر ومعاك تقرير جديد ومعاك الدكتور اللي اكتشف السرقة قلت لسيادته أنا بطلب من سعادتك تحولني للطب الشرعي في مصر وحضرتك تستدعي الدكتور مأمون بنفسك رفض وقالي غور من وشي، وخرجت فوجدت أستاذة محامية بتعمل في حقوق الإنسان في الإسماعيلية حكيت لها الحكاية دخلت معايا لسيادته مرة ثانية قالها ابعدي عن الموضوع ده أحسن لكي لأنه موضوع كبير فاهمة. خرجت واعتذرت لي ومشيت فضلت واقف على الباب لغاية ما خرج نادي علي وقالي خلي القضاء العالي ينفعك ولما قلت له أن ربنا كبير وأكبر من سيادتك والدنيا كلها قالي طب سبني أسبوع وأنا هتصل بيك ومن ساعتها مسألش فيه.

وبالنسبة لموقف أهل محمد من عملية السرقة قال أن مفيش حد بيسأل عنه وأهلي ناس غلابة وأبويا راجل مريض وكل اللي بيقدروا عليه عملوه، أنهم يجيبوا شوية خزين بيت في المواسم واللي ربنا مسهلها معاه منهم من وقت للتاني يديني أي مساعدة.

أما بالنسبة لموقف المحيطين به «طبعا الناس في بلدنا غلابة وكل واحد قدر على حاجة عملها معايا في اللي غلبان زي حالاتي يقدم نصيحة يقول عايز حقك روح لفلان أو علان واللي ربنا كرمه زي الحاج حسن الشامي تاجر ملابس جملة في الشارع بيقوم بالواجب كل أسبوع يجيب أدوية ويديني فلوس لكن باقي الناس هتعمل أيه ده حتى الناس اللي كانت بتدفع شهرية مساعدة لأبويا ١٠٠ جنيهًا لما مات من كم شهر قطعة الشهرية لكن صاحب البيت ما بيخدش مني إيجار بس أنا على كف عفريت مش عارف الوضع هيستمر ولا لأ ممكن صاحب البيت يرميني في أي وقت لكن لغيت دلوقتي هو ابن حلال ومقدر موقفي.

وفيما يتعلق بموقف القانون من وجهة نظره أكد محمد «أن القانون عمره ما جاب حق الناس الغلابة اللي زي حالاتي، القانون مع الكبار أصحاب الفلوس

اللي بيشتروا كل حاجة حتى أرواح الناس أنا طبعًا عارف أن الناس اللي سرقوني وصلين قوي لغاية وزير الداخلية ووزير العدل ووزير الصحة وعارف أن النيابة ضدي بس أنا مش هسيب حقي وربنا معايا وفي ناس طيبة كثير في بلدنا وهتقف جنبي في صحفيين كتبوا عني وفيه كمان ناس وعدتني تجيب محامي لأني كل اللي عملته من غير محامي هما قالوا في منظمة حقوق الإنسان هيجيبولي محامي عشان أخد حقي وأنا مش عايز من اللي عملوا فيا كده أي حاجة لا شقة ولا دكان ولا أي حاجة أنا عايز يركبولي كبد زي اللي خدوه مني هو ده اللي أنا عايزه ومش عايز حد يساعدني في أي حاجة غير أن الناس دي تأخذ جزاءها تتسجن هو ده اللي هيشفي غليلي كمان نفسي أقابل الأستاذ محمود سعد في البيت بيتك هو ده اللي ممكن يجبلي حقي لأنه مع الغلابة دايمًا.

وبالنسبة لموقف الحالة من عملية السرقة وطرق الحماية منها تؤكد «انه لا بد وأن تقف الدولة بشدة في وجه هذه المستشفيات ولازم يكون فيه رقابة عليها عشان أرواح الناس مش لعبة في أيد الدكاترة اللي معندهمش ضمير وكمان لازم القانون يكون شديد يعني سجن مدى الحياة أو اللي يثبت أنه عمل كده يقطعوا منه نفس الجزء اللي هو قطعه من المريض، هو ده الحق وهو ده العدل بتاع ربنا لكن العملية دلوقتي سداح مداح والغلابة في البلد دي هم اللي بيضيع حقهم، لكن في الآخر مقدرش أقول غير أن ربنا أكبر من الكل وهو اللي هيجيب لي حقي من الكفرة دول اللي ميعرفوش دين ولا ملة».

الحالة الثامنة: (منشية ناصر – القاهرة - وسيط)

أولاً: البيانات الأساسية

الاسم: ماهر

السن: ٤٥ سنة

الحالة التعليمية: أمي

الحالة العملية: عامل بمستشفى الحسين الجامعي

الحالة الاجتماعية: متزوج

عدد الأبناء: أربعة

ثانيًا: الظروف والنشأة والأصول

ولد ماهر بإحدى قرى مركز أبشواي محافظة الفيوم لأسرة كبيرة العدد، الأب يعمل بالزراعة والأم ربة منزل تساعد الأب في عمله في بعض الأحيان، أنجب الأب ثلاثة عشر من الأبناء: سبعًا من الإناث وستة من الذكور وكان ماهر ترتيبه الثامن بين إخوته، لم يتعلم أي من الأبناء، فالكل يذهب إلى كتاب القرية ثم ينخرط في العمل بالزراعة مع الوالد أو صيد الأسماك من بحيرة قارون مع الأخوال، وكان من نصيب ماهر العمل بصيد السمك في البحيرة، استمرت الحال هكذا حتى قام أحد أصدقاء ماهر وهو في سن التاسعة عشر بالهجرة إلى مدينة القاهرة والعمل في مجال المعمار والاستقرار بمنطقة منشية ناصر العشوائية على حدود مدينة القاهرة.

دخل ماهر الجيش وكان نصيبه أن يكون مجندًا بالأمن المركزي بمنطقة الدراسة القريبة من حي منشية ناصر العشوائي. بدأ ماهر يتردد على صديق عمره وابن قريته ويقيم معه في الإجازات القصيرة التي يأخذها من الداخلية، وبعد انقضاء فترة التجنيد كان ماهر قد عزم على الاستقرار في القاهرة التي

عاش بها ثلاث سنوات متصلة هي فترة تجنيده، كان صديق ماهر قد تزوج في تلك الأثناء من إحدى فتيات القرية وبالتالي كان على ماهر أن يبحث عن فرصة عمل وسكن بسيط داخل القاهرة، استطاع صديقه أن يساعده في الحصول على فرصة عمل في نفس المجال الذي يعمل به نجارًا مسلحًا وكذلك حصل على حجرة بالبيت المجاور له، وأخذ ماهر يوفر بعض النقود من عمله الجديد واستطاع خلال ثلاث سنوات أن يوفر كل متطلبات الزواج حجرة نوم وبعض الأجهزة الكهربائية وثمن الشبكة وعاد إلى مسقط رأسه في الفيوم ليتزوج شقيقة زوجة صديقه وعاد بها إلى القاهرة لتستمر الحياة، زوجته وشقيقتها متجاورتين في السكن وهو وصديقه يخرجان للعمل يوميًا.

لم تكن مهنة ماهر مستمرة طوال العام بل كان عمله موسميًا ينشط أيامًا ويخفت أيامًا أخرى، وفي أحد أيام شتاء عام ١٩٩٠ كان ماهر قد أنجب طفلين ولم يكن لديه عمل في تلك الأثناء وكان يجلس في البيت حتى عرضت عليه إحدى الجارات والتي تعمل ممرضة بمستشفى الحسين الجامعي – العمل في وظيفة عامل بالمستشفى، فهي وإن كانت وظيفة بسيطة لا تدر عائدًا كبيرًا لكنها وظيفة حكومية ثابتة يستطيع من خلال عمله بها أن يحصل على دخل آخر من خلال خدمة المرضى، وافق ماهر نظرًا لظروفه المادية السيئة وعدم انتظام عمله هذا إلى جانب أن عمله شاق للغاية وهذه المهنة الجديدة أكثر راحة من عمله السابق.

انتظم ماهر في عمله الجديد واستطاع خلا ل فترة وجيزة أن يكسب ثقة كل العاملين معه فى المستشفى خاصة الأطباء والممرضين لدرجة أنه خلال أقل من عام استطاع أن يحصل على عمل إضافي في عيادة أكبر أطباء المستشفى، استمرت الحياة بماهر على وتيرة واحدة: عمل في الصباح بالمستشفى وفي المساء بالعيادة والدخل محدود لكنه يكفيه هو وأسرته التي أصبحت تتكون من أربعة أبناء وأمهم هو المسئول عن رعايتهم جميعًا، حيث دخل الأبناء المدارس الحكومية، وظل ماهر يحلم بتعليمهم حتى يصل بهم إلى الجامعة، لم يتحقق حلم ماهر فالبنت الكبرى

حصلت على دبلوم تمريض وتعمل بنفس المستشفى، والثانية حصلت على دبلوم تجارة وتعمل سكرتيرة لدى محام، والابن حصل على دبلوم صنايع ولا يعمل حتى الآن، والابن الرابع مازال في المرحلة الإعدادية.

ثالثًا: تداعيات العمل كوسيط:

ظل ماهر يعمل في مهنة عامل بالمستشفى وبالعيادة لمدة سبع سنوات وكانت أحواله المادية معقولة فهو يستطيع أن يوفر حاجاته الأساسية وحاجات أسرته من مأكل ومشرب ومسكن لكنه لم يكن يستطيع أن يوفر جزءًا من راتبه لكي يكون أمانًا له ولأسرته، فهو يعيش يومًا بيومه وإذا مرض أحد أبنائه أو حل عيد من الأعياد أو فتحت المدارس يدخل في أزمة مثل كثير من الفقراء، وفي عام ١٩٩٧ انتقل ماهر للعمل بوحدة الغسيل الكلوي بالمستشفى وبدأ يرى حالات غريبة وعجيبة فهذا القسم الجديد يتردد عليه مرضى من نوع خاص، إنهم يترددون بشكل دائم وثابت من أجل عملية الغسيل وبالتالي اصبحت خلال شهور قليلة هناك علاقة ود ومحبة بين ماهر وغالبية المرضى بل وأسرهم لأن مريض الكلى الذي يحضر من أجل الغسيل دائمًا ما يأتي أحد أفراد أسرته مصاحبًا له يجلس لمدة أربع أو خمس ساعات منتظرًا مريضه، بدأ ماهر يتعرف على عالم جديد.

في أحد أيام عام ١٩٩٧ تعرف ماهر على أحد المرضى الجدد الذي أصيب بمرض الفشل الكلوي وكان قد جاء للغسيل بوحدة الكلى التي يعمل بها ماهر، كان رجلاً في منتصف العمر وتبدو عليه علامات الثراء، كانت علاقته قوية برئيس الوحدة الأستاذ الدكتور أشرف عطية أستاذ أمراض الباطنة والجهاز الهضمي بالمستشفى وكان أولاده يحضرون معه، وكان ماهر يصطحب المريض بالكرسي المتحرك حتى يدخله ويخرجه من وحدة الكلى، وكان يعطي ماهر بسخاء، وكان ماهر حريصًا على متابعة وتلبية كل طلباته هذا إلى جانب رعاية والدهم وكانوا هم أيضًا يغدقون عليه بالمال الكثير، في هذه الأثناء ترك ماهر عمله بعيادة طبيب القلب الشهير وانتقل للعمل بوحدة غسيل كلوي خاصة لدى أحد أطباء المستشفى الكبار.

كان ماهـر قـد تعـرف جيـدًا علـى ذلـك المريـض الثـري الـذي يبحـث عـن متبـرع مـن أجـل إجـراء عمليـة زراعـة للكلـى، في تلـك الأثنـاء كان يتحـدث معـه ومـع أبنائـه وعلـم أنهـم عثـروا علـى أكثـر مـن متبـرع لكـن ظروفهـم الصحيـة وفصائـل دمهـم لـم تكـن مطابقـة وصالحـة لإجـراء الجراحـة، وفي تلـك الأثنـاء أيضًـا عـرف ماهـر أن ذلـك المتبـرع سـوف يحصـل علـى مكافـأة كبيـرة قـد تصـل إلـى أربعـين ألـف جنيـه، ومـن هنـا بـدأت الفكـرة تختمـر في ذهنـه، فهـو يحـب هـذا الرجـل الكـريم ويحـب أبنـاءه نظـرًا للمعاملـة الطيبـة وعطفهـم عليـه.

قـرر ماهـر مسـاعدة الرجـل، بـدأ يتحـدث مـع جيرانـه في حـي منشـية ناصـر مـن الشـباب البسـيط الـذي يجلـس علـى المقهـى ولا يوجـد لديهـم عمـل ويحتاجـون بشـدة إلـى المـال، اسـتطاع ماهـر الوصـول إلـى شـاب فقيـر يقطـن نفـس المنطقـة ومتعطـل عـن العمـل ولديـه ثلاثـة أشـقاء يقـوم علـى رعايتهـم بعـد وفـاة والـده، اقنـع ماهـر الشـاب بأنـه سـوف يعمـل عمـلاً سـيؤجره اللّه عليـه وكذلـك سـوف تحـل كل مشـكلاته الماديـة، ذهـب ماهـر بالشـاب وأجـرى كل التحاليـل والإشـاعات لكنـه لـم يتمكـن مـن إجـراء الجراحـة لعـدم توافـر شـرط توافـق الأنسـجة، شـكرت الأسـرة المريـض وماهـر علـى سـعيه وقالـوا لـه ابحـث لنـا عـن آخـر وسـوف نعطيـك مكافـأة كبيـرة .. بـدأ ماهـر يتحـدث مـع آخريـن، كان منهـم مـن يرفـض الفكـرة مـن أصلهـا، وكان هنـاك مـن يخـاف علـى نفسـه، وكان هنـاك مـن يتـردد ويطلـب مهلـة للتفكيـر، ومـن يتـردد يبـدأ ماهـر في الإلحـاح عليـه وإغرائـه حتـى تمكـن مـن إقنـاع ثلاثـة شـباب آخريـن مـن نفـس الحـي السـكني الـذي يعيـش فيـه ذهبـوا جميعًـا لإجـراء التحاليـل والإشـاعات، وبالفعـل تمكـن ماهـر مـن الوصـول إلـى الشـخص المناسـب وتم إجـراء العمليـة وحصـل هـذا الشـاب علـى مبلـغ أربعـين ألـف جنيـه أعطـى ماهـر منهـا ألفـي جنيـه في حـين حصـل علـى مبلـغ خمسـة آلاف جنيـه مـن المريـض واسـرته.

قـام ماهـر بعـد حصولـه علـى المبلـغ بشـراء شـقة جديـدة بنفـس الحـي تتكـون مـن حجرتـين وصالـة ومطبـخ وحمـام دفـع فيهـا مبلـغ خمسـة آلاف جنيـه خلـو رجـل ويدفـع إيجـارًا شـهريًا مائـة جنيـه.

كانت هذه المرة الأولى التي قام فيها ماهر بعملية الوساطة، وبعد ذلك بدأ ماهر يتعرف على هذا العالم الغريب وبدأ يلعب نفس الدور ولكن بمهارة جديدة، فمن خلال العملية الأولى تعرف على أحد الأطباء الذين يعملون معه بنفس وحدة الغسيل وعرف أنه يشارك في مثل هذه العمليات وبدأ يتحدث معه ويكسب ثقته خاصة عندما علم أنه هو الذي وفر للمريض الذي قام بعملية الزراعة الشخص المتبرع أو البائع، بدأ التعاون بين ماهر والطبيب حيث يحضر ماهر من يريد من البيع للطبيب ويقوم الطبيب بإجراء التحاليل والإشاعات اللازمة، ومن تتوافر فيه الشروط ويكون هناك مشترى يأخذ ماهر عمولة من البائع والمشتري وفي أحيان كثيرة تكون عمولة المشتري يأخذها ماهر من الطبيب لأنه في بعض الأحيان لا يرى ولا يتعرف على المشتري.

لم يكتف ماهر بأبناء الحي السكني الذي يسكن فيه، بل انتقل إلى مسقط رأسه بمدينة الفيوم للحصول على شباب وشابات ممن يمرون بظروف اقتصادية سيئة ويحتاجون إلى المال بأي طريقة، وبالتالي يسهل عليه عملية اقناعهم، يؤكد ماهر أنه خلال ما يزيد عن عشر سنوات وهو يعمل كوسيط استطاع أن يوفر عددًا من الراغبين في البيع، بالطبع هو لا يستطيع تحديد العدد بالضبط لكنه يرى أن المسألة تخضع للظروف، ظروف البائع وظروف المشتري، فقد يتوافر مشترى ويظل يبحث عن بائع لمدة طويلة تصل لعدة شهور حتى يوفق فى ذلك وقد يمضي عام أو أكثر دون التمكن من الحصول على بائع، فالمسألة خاصة للغاية وخاضعة للقسمة والنصيب.

يؤكد ماهر أنه يتعرف على الحالات التي ترغب في البيع بشكل مباشر في محيط جيرانه ومعارفه سواء في القاهرة أو الفيوم، ويؤكد كذلك على أن الدافع المادي هو الذي يغري الحالة على البيع وهو أيضًا دافعه هو ذاته للعمل في هذا المجال، فهو يؤكد أنه لولا عمله كوسيط ما استطاع أن يحسن ظروفه المادية وظروف أسرته وكان سيظل قابعًا في الحجرة الضيقة في المنزل القديم هو وزوجته وأبناؤه الأربعة.

وفيما يتعلق بعمولته فهي ليست ثابتة لكن أكبر مبلغ حصل عليه كان عشرين ألف جنيه حصل عليها من المشتري فقط ولم يأخذ مليمًا واحدًا من البائع، فالبائع حصل على مبلغ ثلاثين ألف والمشتري دفع خمسين ألف أخذت منها عشرين ألفًا، ويؤكد ماهر أنه على الرغم من دخله الكبير إلا أن كل ما يدخل له يقوم بصرفه على زوجته وأبنائه يشتري لهم كل ما يطلبونه من ذهب وتليفونات محمولة ومصاريف، هذا إلى جانب ما يصرفه على كيفه فهو يتعاطى مخدر الحشيش بشكل دائم.

وعن الأسباب التي تدفع البائع لقبول عملية البيع، يؤكد ماهر أن الظروف الاقتصادية السيئة والحاجة هي الدافع الأول لعملية البيع، لكنه يؤكد أن هناك كثيرًا من الفقراء الذين حاول إقناعهم بالبيع لكنهم رفضوا وقالوا له، إن هذا حرام وربنا مخلقش الإنسان عشان يبيع جسمه لكن عشان يسعى في لأرض ويعمل ويجتهد، وعن قناعته هو بذلك يؤكد ماهر أن ربنا خلق الإنسان وهو كاتب له هيعمل أيه ومش هيعمل أيه، وعن الصلاة يؤكد ماهر أنه غير منتظم في الصلاة بس في رمضان بيصوم، ويرى ماهر «أن الناس اللي بترضى تبيع بيكون نتيجة لظروفهم الصعبة وأيه اللي رماك على المر الي أمر منه».

وفيما يتعلق بظروف المشتري يؤكد ماهر «أنه وبحكم عمله في المهنة دي لم يرى أي مشترى ظروفه وحشه بل دائمًا ما يكون من الأثرياء ومن أصحاب المراكز في البلد يعني ناس مبسوطة ومرتاحة ماديًا».

رابعًا: موقف الوسيط من عملية البيع:

يرى ماهر : «أن العمليات دي أصبحت حاجة عادية وكثيرة جدًا، زمان من عشر سنوات كان الوصول للحالة صعب وإقناعها أصعب، دلوقتي الحالات هي اللي بتيجي لغاية عندي وأنا اللي اختار طبعًا في حالات كثير بتكون مش مناسبة بعد إجراء التحاليل والإشاعات بنديهم مبلغ صغير مائة ولا مائتي جنيه ونمشيهم

ونقولهم معلش ملكوش نصيب معانا، بالطبع الطبيب اللي بشتغل معاه هو اللي بيدفع الفلوس دي.

وبالنسبة لمعدل الظاهرة يؤكد ماهر «أنها في تزايد مستمر نتيجة ارتفاع مرضى الفشل الكلوي من ناحية وانتشار المستشفيات والدكاترة اللي بيعملوا العملية وكمان الظروف الصعبة اللي بتخلي الناس تقدم على عملية البيع»، ويشير كذلك «مادام فيه فقراء في مصر فعملية البيع سوف تستمر وهتزيد كمان وكمان».

وعن ضبط عملية البيع والشراء يؤكد ماهر «أن العملية دي محدش يقدر ينظمها لأنها عرض وطلب وكل واحد صاحب حاجة المشتري عايز ينقذ حياته والبائع عايز يحسن ظروفه عشان كده العملية بتم في السر وكل واحد سواء البائع أو المشتري بيحافظ على السر عشان مصلحته وأنا كمان بحافظ على السر عشان مصلحتي أنا مستفيد من البائع والمشتري وكمان الدكتور والتمريض كله مستفيد عشان كده العملية عمرها ما هتتظبط».

وبسؤال ماهر عن رغبته في زيادة هذه العملية أم رغبته في أن تقل أشار «إلى أن هذا العمل رزق من عند ربنا عايزه يقل ليه طبعًا عايزه يزيد ويستمر عشان أعيش كويس وأجوز البنات وأخذ شقق للولاد بدل العيشة الصعبة، مش كده أحسن ما أعمل حاجة غلط ولا أسرق».

الحالة التاسعة: (منشية ناصر – القاهرة - وسيط – ممرضة)

أولا: البيانات الأساسية

الاسم: عفاف

السن: ٣٩ سنة

التعليم: دبلوم تمريض + ليسانس آداب جامعة مفتوحة

المهنة: ممرضة

الحالة الاجتماعية: متزوجة

الأبناء: لا تنجب

ثانيًا: الأصول والنشأة والظروف:

ولدت عفاف لأسرة كبيرة الحجم مكونة من الأب والأم وعشرة أبناء خمسة من الذكور (عزت – أحمد – غرام – أسامة – ماهر) وخمسة من الإناث(رضا – عزة – منى – نجاح – عفاف)، كان ترتيب عفاف التاسع بين أشقائها وكانوا يسكنون في بيت قديم في منطقة خان أبو بطاقية في حي الجمالية تهدم البيت ومازالت عفاف طفلة صغيرة وانتقلت الأسرة للعيش بحي منشية ناصر القريب والسكن كان عبارة عن حجرة واحدة وحمام مشترك.

والد عفاف كان يعمل في مهنة صناعة النسيج حيث جاء من مسقط رأسه بمحافظة المنوفية واستقر بحي الجمالية وعمل في عدة مهن حتى استقر في هذه المهنة ومع الوقت تحسنت أحواله فذهب إلى مسقط رأسه وتزوج من إحدى فتيات قريته وعاد بها إلى القاهرة واستمرت بهم الحياة حتى أنجب أبنائه العشرة.

بالطبع لم يكن الأب أو الأم قد نالوا أي قسط من التعليم وهو ما حدث للأبناء أيضًا سواء الذكور أو الإناث فالكل ترك التعليم في سنواته الأولى ماعدا عفاف،

الكل يعمل، الذكور في صناعة الذهب والفضة والإناث في مصانع النسيج، استقرت الحياة رغم صعوبتها، الذكور كل من يستطيع أن يتحرر من السكن المزدحم يترك البيت ليفسح مكان لباقي أشقائه، تزوج عزت الأخ الأكبر وكذلك أحمد وغرام في سن مبكرة وتزوجت رضا وعزة ومنى لأول من طرق باب الأسرة وبقي أسامة وماهر ونجاح وعفاف وتمكنت عفاف من الحصول على الابتدائية ثم الإعدادية وكانت سعادة الأهل بها كبيرة قررت عفاف مواصلة تعليمها وشجعتها الأسرة الكبيرة المترابطة والمحبة لتلك الفتاة النابغة، سمعت عفاف عن معهد التمريض العسكري بالقوات المسلحة للحاصلين على الإعدادية تقدمت للاختبار ونجحت وتم قبولها واستمرت الدراسة الداخلية لمدة ثلاث سنوات حتى حصلت على الدبلوم وكانت أثناء الدراسة حين تخرج في الإجازة الدراسية وترتدي الزي العسكري كانت تلفت إليها كل الأنظار في الحي العشوائي التي تسكنه أسرتها وكان للزي العسكري احترامه وهيبته وشياكته أيضًا فشعرت عفاف منذ المرحلة المبكرة بتميزها وكان شباب الحي لا ينادونها إلا بحضرة الضابط وكان ذلك يسعدها وأمها وأبيها.

بعد التخرج عملت عفاف بالمستشفى العام للقوات الجوية واستمرت بها الحياة وكانت تتقاضى راتب كبير قياسًا بدخول باقي أشقائها حتى الذكور وكانت تساعد من يحتاج منهم لأي مساعدة مالية، وحين كان يمرض الأب أو الأم كانت تذهب بهم إلى المستشفى الذي تعلمل بها ولها فيها تأمين صحي وكانوا يلقون عناية فائقة.

مرض الأب وجلس قعيدًا والأشقاء أسامة وماهر يعملون بشكل موسمي فمهنة صناعة الذهب والفضة أصابها ركود وكانوا يتركون العمل ويجلسون بالمنزل وكذلك أختها نجاح التي كانت تترك المصنع وتجلس لرعاية الأب والأم المريضين وكانت عفاف هي المسئولة عن الصرف على هذه الأسرة.

نصحت عفاف شقيقها أسامة بالبحث عن عمل بشكل أكثر استقرارًا فوجد فرصة عمل في مصنع ملابس أما ماهر فقد قامت بتوظيفه في مهنة ممرض بالقصر العيني الفرنساوي وبعد وفاة الأب عملت نجاح في عيادة طبيب في الفترة

المسائية عن طريق عفاف أيضًا، في تلك الأثناء توفى شقيقها أحمد بعد رحلة مرض قصيرة بسبب الفشل الكلوي وكان لديه أربعة أبناء، تزوج أ سامة أرملة شقيقه لرعاية أبناء الشقيق الراحل ورحب الجميع بهذه الزيجة.

ظلت عفاف تعيش مع أختها الأكبر نجاح وشقيقها الأصغر ماهر والأم المريضة وكانت الأيام قد مضت دون زواج عفاف وشقيقتها الأكبر منها مباشرة نجاح وتجاوزت الفتاتان الثلاثون عامًا، نجاح مواليد ١٩٦٧، وعفاف مواليد ١٩٧٠ وفي بداية عام ٢٠٠١ أصيبت عفاف بمرض السكر وكانت مفاجأة غير سارة للأسرة بأكملها وبعد السكر جاء الضغط وبعض الأورام في البطن والتي اضطرت عفاف لإجراء جراحات متتالية لاستئصال الورم.

كانت عفاف قد وصلت إلى رتبة مساعد أول بالقوات المسلحة وكانت جميلة لكن ظروف عملها وظروف أسرتها والحي السكني كانوا عائقين أمام ارتباطها أكثر من مرة، كانت مرتبطة بطبيب بالمستشفى الذي تعمل بها برتبة رائد وعندما جاء إلى بيت أسرتها تركها وفر هاربًا وبعد ذلك ارتبطت بضابط طيار واستمرت معه ثلاث سنوات وكان مصر على الزواج منها لكن أسرته منعته من إتمام ذلك الزواج وتكرر هذا الموقف عدة مرات، قررت عفاف بعد مرضها تقديم أوراقها للكمسيون الطبي من أجل الخروج من القوات المسلحة «معاش مبكر» وبالفعل خرجت عفاف وحصلت على مبلغ مالي كبير.

أول ما فعلته عفاف هو شراء شقة تمليك بمنطقة المقاولون العرب الواقعة بين حي منشية ناصر ومدينة نصر وانتقلت للعيش بالشقة الجديدة هي وأمها وأختها وأخيها الأصغر ماهر، أصبح معاش عفاف هو الأساس الذي يفتح به البيت وكان مرض الأم ومرض عفاف يحتاج إلى مصاريف إضافية، هذا إلى جانب الحياة الجديدة فقد صرفت عفاف كل ما حصلت عليه عند خروجها إلى المعاش في شراء الشقة وفرشها ولم يعد لها غير المعاش الذى أصبح لا يكفي حتى منتصف الشهر اضطرت عفاف للعمل في مستشفى استثماري كمشاركة في بعض العمليات مع أحد

الأطباء الكبار وكان يعرفها جيداً أثناء عملها بالقوات المسلحة وكانت تذهب فقط للمشاركة في العملية وتعود بعدها إلى بيتها.

في بداية عام ٢٠٠٣ اشتد المرض على الأم وأصيبت بالفشل الكلوي ولم تستمر طويلاً فبعد أقل من ثلاثة شهور توفيت الأم وكان شقيقها الأصغر ماهر قد تزوج ولم يعد هناك غير عفاف وشقيقتها نجاح وبدأ الخلاف يدب بينهم وعادت نجاح لبيت الأسرة الصغير وتركت عفاف في شقتها بمفردها، عفاف تذهب على المستشفى الاستثماري مرتين في الأسبوع وباقي الأيام لا تجد ما تفعله قررت مواصلة تعليمها والتحقت بالجامعة المفتوحة وبدأت تشغل نفسها بالدراسة والعمل حتى شعرت بأوجاع البطن مرة أخرى وذهبت إلى المستشفى وكان الورم هذه المرة قد وصل إلى الرحم واضطر الأطباء استئصال الرحم.

بدأت عفاف تشعر بالاكتئاب فقد تركت العمل واعتمدت على معاشها فقط وكانت تشعر بالوحدة وأنها قد فاتها الكثير من حياتها بدأت بعض شقيقاتها يبحثن لها عن زوج يرضى بظروفها المرضية وبالفعل استطعن في عام ٢٠٠٥ تزويجها من شاب يصغرها بخمس سنوات وكان يعمل موظف بالأمن بإحدى الشركات سرعان ما ترك عمله وأصبح عاطلاً عن العمل وبدأ يعتمد على معاشها وكان يتعاطى المخدرات وحول هذا الشاب العاطل حياة عفاف إلى جحيم فبدلاً من الوقوف بجوارها بدأ يطالبها بالمزيد من المال ويطلب منها الخروج للعمل اضطرت عفاف إلى العودة للمشاركة في عمليات المستشفى الاستثماري الكبير.

ثالثًا: تداعيات العمل كوسيط:

كانت عفاف تعلم الكثير عن هذه النوعية من العمليات التي يتم فيها بيع الكلى فقد تعرضت لموقف مشابه حين مرض أخيها بالفشل الكلوي وعرفت الكثير في تلك الأثناء عن عمليات البيع والشراء وأماكن إجراء العمليات والأطباء العاملين في هذا الموضوع وكانت المستشفى الكبير الذي تعمل فيه أحد هذه المستشفيات

التي يتم فيها مثل هذه العمليات وكانت لها زميلات يعملن مع الفريق الطبي الذي يقوم بمثل هذه العمليات وكانوا يتحدثون عن دخلهم من هذه العمليات، كانت عفاف تعمل في مجال جراحة العظام وكانت تأخذ مائة وخمسون جنيهًا مقابل المشاركة في العملية الواحدة، وكانت متطلبات زوجها المالية كثيرة وفي أحد الأيام كانت تتحدث مع زميلة لها في المستشفى عن الظروف المادية السيئة فعرضت عليها زميلتها أن تحضر أحد الراغبين في بيع الكلى وسوف تحصل على مبلغ محترم من هذه العملية.

بدأت عفاف تسأل أخيها ماهر عن بعض أصدقائه في حي منشية ناصر ولماذا لم يتزوج فلان وفلان ثم عرضت عليه الأمر وأن يقوم بإقناعهم بالموضوع وسوف يحصل على نسبة وبالفعل استطاعوا إقناع ثلاثة أشخاص دفعة واحدة ذهبوا بهم لأخذ عينات منهم وأعطوا نتيجة التحاليل لزميلتها التي تعمل بقسم جراحات الكلى وبعد عدة أيام كان قد دخل أحد هؤلاء الشباب لإجراء الجراحة وحصل على مبلغ عشرون ألف جنيهًا وحصلت عفاف وشقيقها على مبلغ عشرة آلاف جنيهًا تم تقسيمها بينهما مناصفة وكانت هذه هي المرة الأولى ثم تكررت المسألة عن طريق نفس الزميلة فعفاف لم ترى المشتري ولا الطبيب كل ما عليها أن تحضر البائع وتأخذ منه عينات التحاليل وتقدم التحاليل للزميلة التي تحدد لها صلاحية هذا البائع أو لا ثم تعطي عفاف نسبتها وتعطي البائع المبلغ المتفق عليه.

وعن كيفية التعرف على البائع تؤكد عفاف أنه دائمًا من دائرة معارفنا بالحي الشعبي الذي كنا نسكن فيه والذي يقوم بإقناعه شقيقي ماهر فهو في الغالب من أصدقائه القدامى ويعاني من ظروف مادية سيئة وأكثر من واحد باع دلوقتي الشباب هو اللي بيروح لماهر ليبحث عنه من أجل البيع «طبعًا الهدف من عملية الوساطة هو العائد المادي الذي يرجع على الجميع أنا وماهر وزميلتي والأطباء وكله على المشتري المريض اللي عايز ينجي نفسه من الموت أخويا وأمي ماتوا بسبب عدم القدرة على الشراء».

وعن قيمة العائد المادي من الوساطة تؤكد عفاف «أن المبلغ اللي أخذته أول مرة من أربع سنوات هو هو يعني عمره مازاد همه عشرة آلاف جنيهًا بنخدهم أنا وماهر أخويا من زميلتي ومالناش دعوة بالبائع هي اللي بتدفعله فلوسه حسب الاتفاق بينهم بس على فكرة البائع عمره ماخد أكثر من ثلاثين ألف جنيهًا، وعن كيفية التصرف في عائد البيع تؤكد عفاف «أن الفلوس دي راكبها عفريت زي ما تيجي زي ما تروح، جوزى بيطلب فلوس عمال على بطال وبضطر أديله لأني حبيته ومقدرش أعيش من غيره، ما أنا دلوقتي مليش حد غيره لا عندى عيال وأخواتي كل واحد في حياته، ومفيش حد فاضي يسأل إلا إذا كان عايز حاجة منك.

بالنسبة لتحديد المبلغ المدفوع للبائع أنا مليش دعوة بيه اللي بتحدده صحبتي الل بتشتغل مع طبيب الكلى أما لو البائع أكدت التحاليل أنه مش صالح للعملية مش بياخد أي حاجة، فياخد ليه هو أحنا خدنا منه حاجة عشان ندفعله، الدفع بيكون للبائع اللي خلاص هيبيع وهيخدوا كليته هو ده اللي بياخد الفلوس المتفق عليها».

رابعًا: موقف الوسيط من عملية البيع:

طبعًا الظاهرة دي انتشرت في مصر نتيجة الفقر مفيش حد بيبيع إلا إذا كان فقير ومفيش حد بيشتري غير الغني، أنا أخويا وأمي ماتوا لأن مكنش عندنا قدرة نشتري كلى ومعندناش تكاليف العملية لأنها بتكلف كثير قوي.

وبالنسبة لحجم انتشار الظاهرة تؤكد عفاف أن الظاهرة منتشرة جدًا في الأحياء الفقيرة والعشوائية شباب كثير هو اللي بيعرض نفسه مش مستني حد يعرض عليه ويقنعه وده نتيجة الحاجة والفقر طبعًا أنا مقدرش أعرف حجمها بالضبط بس والله العظيم أكثر ما تتصور كلهم شباب زي الفل.

وعن كيفية ضبط هذه الظاهرة تؤكد عفاف أن ده مش ممكن لأن الموضوع بيتم في سرية تامة وكل واحد مستفيد عمره ما هيساعد الشرطة في القبض على الطبيب أو المستشفى أو الوسطاء أو نفسه لو كان بايع أو مشتري، الموضوع مادام

بالرضاء خلاص لكن أنا ساعات بسمع عن حالات سرقة حد يدخل يعمل عملية فيخدوا منه كليته ده بقى لازم يتحارب ولازم نقف جنبه عشان ياخد حقه والشرطة هنا ممكن تتدخل لكن اللي بالرضاء مش هتقدر تضبطه لأنه رايح بمزاجه وبعد كده عمره ما هيروح يبلغ خوفًا على نفسه.

وعن موقف عفاف من مستقبل الظاهرة يعني عايزها تقل ولا تزيد تشير إلى «أن الموضوع في زيادة بسبب الفقر وحاجة الشباب والبطالة عن العمل وأنا مش عايزة الموضوع يزيد لكن نفسي أن يقل وده مش هيحصل إلا لما الفقر يقل والحكومة تشغل الشباب والظروف تتحسن وساعتها محدش هيضطر يبيع حتة من جسمه عشان يعيش يعني أنا لو جوزي بيتشغل ودخله كويس كنت هعمل كده ليه وأخويا ماهر لو دخله كويس كان يعمل كده ليه والشباب اللي بيوافق ده هيبيع ليه يعني كله مضطر نتيجة الظروف والحكومة هي السبب في كل اللي بيحصل ده سايبة الدنيا والأسعار بقت نار والدخل مفيش أو قليل الناس هتعمل أيه غصب عنها.

الحالة العاشرة: (منشية ناصر - القاهرة - بائع – تحول الى وسيط)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: إبراهيم

السن: ٣٢ سنة

الحالة التعليمية: أمي

الحالة المهنية: منادي على سيارات ميكروباص

الحالة الاجتماعية: متزوج

الأبناء: اثنين

ثانيًا: الظروف والنشأة والأصول

ولد إبراهيم بحي منشية ناصر، في منزل قديم يتكون من ثلاثة طوابق، الأول عبارة عن حجرتين في مقابل بعضهما البعض تسكنهما أسرتين إحداهما أسرة إبراهيم والحمام مشترك بين الأسرتين والطابقين الثاني والثالث تسكن أسرتين كل منهما في شقة صغيرة هي مساحة الطابق بأكمله هما أصحاب المنزل، كان والد إبراهيم من سكان حي الجمالية حيث مسقط رأسه وعندما تزوج من أمه انتقل بها للسكن في هذا الحي القريب، وفي هذه الحجرة المتواضعة، وكان الأب والأم من أصول بسيطة فلم يتعلم أي منهما والتحق الأب للعمل في مهنة قهوجي بأحد المقاهي بحي الجمالية.

والأم استقرت بالبيت بعد الزواج وأنجبت سبعة أبناء توفى أربعة منهم في مرحلة الطفولة وبقي مجدي وإبراهيم وهند، كان مجدي الابن الأكبر مريض بالقلب فاستطاع أن يواصل تعليمه حتى حصل على دبلوم الصنايع وعمل موظف أمن في إحدى الشركات أما هند الأخت الصغرى فلم توفق في التعليم وخرجت منذ السنوات الأولى واستقرت في البيت لمساعدة الأم التي تعاني من بعض المشكلات الصحية.

أما إبراهيم فقد كان منذ الصغر لا يهوى التعليم فلم يستمر طويلاً وخرج من السنة الرابعة الابتدائية ومنذ ذلك التاريخ ذهب إلى سوق العمل وانتقل بين أكثر من مهنة منها مطبعجي وبائع في محل خضروات وأخيرًا استقر في مهنة منادي على سيارة أجرة وتدرج في هذه المهنة لسنوات طويلة وكانت تدر عليه دخلاً بدأ بخمسة جنيهات حتى وصل إلى خمسة وعشرون جنيهًا الآن.

هذا إلى جانب أنه كان يحب الموسيقى والغناء فقد كان يعزف على بعض الآلات الإيقاعية وهو ما جعله يعمل في بعض الفرق التي تقوم بإحياء الأفراح الشعبية وكانت تدر عليه دخلاً إضافيًا، كانت حياة إبراهيم وأسرته متواضعة للغاية فالأب مدمن مخدرات وكان دخله يصرف على هذه المخدرات وهو ما دفع الأم في بعض الأحيان للعمل كتمرجية في مستشفى حميات العباسية، والأخ الأكبر مريض بالقلب منذ الصغر ولا يقدر على العمل والأخت ترعى الأسرة.

وكان إبراهيم هو المسئول الأول عن هذه الأسرة فهو منذ نعومة أظافره خرج للعمل وكان يقدم دخله لأمه من أجل توفير احتياجات البيت من الطعام والشراب واستمرت الحياة على نفس الوتيرة حتى كبر الأبناء الثلاثة ومرضت الأم وجلست بالبيت ومرض الأب أيضًا نتيجة المخدرات واستقر به الحال في البيت بعد أن أصبح غير قادر على ممارسة عمله السابق كقهوجي.

بعد حصول الأخ الأكبر على الدبلوم والعمل أخذ حجرة في بيت قريب من أسرته وتزوج أحدى فتيات الحي العشوائي من أبناء الجيران وانفصل عن الأسرة وظل إبراهيم بجوار الوالدين المريضين والأخت الصغرى التي أصبحت شابة يتقدم فتيان الحي إلى أخيها لطلبها للزواج ولم تكن ظروف إبراهيم وأسرته تسمح في مساعدة الشقيقة على اتمام الزواج وإحضار متطلبات العروس فكانت كل خطوباتها تفشل بسبب الأحوال المادية.

وفي إحدى المرات التي خطبت فيها هند قرر إبراهيم أن يساعد أخته بأي طريقة فقد تقدم إليها شاب من أبناء المنطقة يعمل ميكانيكي سيارات ويمتلك شقة في مدينة بدر ولابد أن يحضر إبراهيم كل ما تم الاتفاق عليه حتى تتم زيجة شقيقته، ولا تفشل كما حدث في المرات السابقة.

لجأ إبراهيم إلى صديقه ماهر وأخته عفاف وهما جيرانهم في الحجرة المقابلة منذ الطفولة عاش معهم أكثر مما عاش مع أشقائه وكانت تربطه بهما علاقة قوية وكان كثيراً ما يجاملهم سواء في أفراحهم أو أحزانهم وكانت أحوالهم المالية قد تحسنت في الفترة الأخيرة بشكل كبير لم يبخل ماهر على صديقه إبراهيم أقرضه مبلغ خمسة آلاف جنيهًا وكذلك أقرضته عفاف ثلاثة آلاف أخرى وكتب لهما إبراهيم إيصالات أمانة بالمبلغ واستطاع إبراهيم أن يكمل جهاز شقيقته ويتم زفافها على خير.

استمرت الأيام بإبراهيم وأسرته وما يحصل عليه من عمله يكاد يكفي لاحتياجات البيت من طعام وشراب وعلاج للأم والأب المريضين بالطبع لم يستطع سداد الدين وبدأ ماهر وعفاف يطلبون من إبراهيم السداد وخاف إبراهيم أن يتقدما بإيصالات الأمانة إلى النيابة وفي هذا الوقت عرض عليه ماهر أن يبيع كليه من كليتيه حتى يحل مشكلاته ويسدد ديونه لم يستوعب إبراهيم الأمر في البداية وقال لماهر حتى لو رضيت مين اللي يشتري هنا قال ماهر لو موافق ملكش دعوة أنا هعمل كل حاجة وعفاف هتساعدنا، وافق إبراهيم وذهب لعمل التحاليل المطلوبة وبعد حوالي ثلاثة شهور وجد ماهر يكلمه بأنه سوف يعمل العملية قريبًا، وبالفعل بدأ إبراهيم يسأل عن الثمن الذي سوف يدفع له، وفي أحد أيام شتاء ٢٠٠٧ أخذته عفاف لمقابلة مدام كريمة زميلة لها تعمل ممرضة في مستشفى خاص واتفقت معاه على مبلغ عشرين ألف قل لا أنا عايز ثلاثين ألف، وفي الآخر وصلنا لحل وسط أني أخذ خمسة وعشرين ألف جنيه، بالفعل عملت العملية وخرجت بعد ثلاثة أيام والجرح قفل بعد كده والأحوال تحسنت حيث

دفعت ديوني وباقي المبلغ أخذت حجرة بمنافعها واتجوزت وربنا رزقني بمحمود عنده سنة ونصف وهند عندها شهرين.

ثالثًا: تداعيات العمل كوسيط:

استمرت الحياة بإبراهيم بعد ذلك يعمل في مهنة منادي يتقاضى يوميًا خمسة وعشرون جنيهًا إلى جانب العمل في بعض الأفراح لكن دخله لم يكن يكفي لمساعدة أبيه وأمه وأسرته على الحياة بشكل مناسب وأخذ إبراهيم يشكو لصديقه ماهر ويطلب منه المساعدة عند الحاجة ولم يكن ماهر يبخل عليه فكان دائمًا ما يساعده ببعض المبالغ البسيطة خمسون جنيهًا أومائة جنيه ويرفض استردادها في أغلب الأحيان إلى أن علم أن ماهر وأخته عفاف يعملون كوسطاء في عمليات بيع الكلى عن طريق إحضار من يرغب في البيع ويحصلون على مبالغ كبيرة نتيجة لذلك، عرض إبراهيم على ماهر وعفاف أن يحضر لهما بعض الراغبين في البيع من معارفه وأصدقائه وافق ماهر وعفاف على العرض وبالفعل استطاع أن يقنع أحد معارفه الذي يجلس معه على المقهى ويمر بظروف مادية صعبة في أن يبيع وبالفعل استلمت عفاف الزبون من إبراهيم وعندما جاء موعد العملية دفعوا مبلغ ثلاثة آلاف جنيهًا لإبراهيم، وكانت هذه هي المرة الأولى لمشاركة وعمل إبراهيم كوسيط في مثل هذه العمليات.

ويؤكد إبراهيم أن أهم ما يميز المشتري أن يكون ظروفه المادية جيدة نظرًا للفلوس الكثيرة التي تدفع في عملية الشراء والزراعة سواء للأطباء أو المستشفى أو الوسطاء والبائع نفسه.

وعلى عكس المشتري تكون ظروف البائع سيئة للغاية وفي حاجة إلى المال حتى لو كان يبيع جسده «هو الفقير يمتلك حاجة غيره عشان يبيعها».

ويؤكد إبراهيم كذلك أن الهدف من عملية الوساطة التي يمارسها الآن هي الحاجة المادية والظروف السيئة فهو لا يستطيع العيش من عمله في مهنتين رغم

أنه ليس له مصروف شخصي فهو لا يدخن ولا يشرب مخدرات مثل باقي زملائه وجيرانه ورغم ذلك دخله لا يكفي لفتح بيته ورعاية أمه وأبيه.

وعن كيفية التصرف في العائد من عملية الوساطة يؤكد إبراهيم أنه يتم صرفها في شئون البيت وعلاج أمه وأبيه لأن عائده من عملية الوساطة ليس كبيرًا ويأتي على فترات طويلة ثلاثة آلاف جنيهًا كل خمسة أو ستة شهور.

بالنسبة لطريقة تحديد المبلغ الذي يدفع للبائع يكون بين البائع ومدام كريمة هي اللي بتتفاوض مع البائع وهي كمان اللي بتدفعه ده نفس اللي حصل معايا لما بعت وكل واحد وشطارته في التعامل معاها دلوقتي بتبدأ بمبلغ صغير عشان يوصلوا لمبلغ معقول عشان فيه ناس بتطمع لكن هما عندهم في الغالب أسعار محددة مش بتزيد عن ٣٠ ألف جنيهًا.

بالنسبة للبائع الذي لا يصلح لإجراء العملية مش بياخد حاجة لأن الدفع عند إجراء العملية زي ما تم معايا بالضبط، أنت بتروح تعمل تحاليل وبعد كام شهر أو كام أسبوع أو كام يوم يطلبونك عشان تجهز للعملية أنت وحظك في موضوع الوقت وساعات فيه ناس بتعمل تحاليل ومحدش بيطلبها يبقى الموضوع كده منتهي.

وبسؤال إبراهيم عن الصلاة وهل هو منتظم في أدائها أم لا، أكد أنه لا يصلي مطلقًا لكن قلبه مليان إيمان وبينه وبين ربنا عمار وفي رمضان ساعات بيصوم أصل شغله صعب وكله قرف ووجع دماغ من الركاب طوال النهار.

رابعًا: موقف الوسيط من عملية البيع:

يرى إبراهيم «أن العمليات دي مفيش حد دلوقتي ميعرفهاش والناس بتقول لبعضها بالذات في المناطق الشعبية اللي أحنا عايشيين فيها والناس اللي ظروفها وحشة ومعندهاش أي حل غير بيع جسمها أو السرقة، بتفضل بيع جسمها لأنها في الأول وفي الآخر بتيجي على نفسها مش على حاجة الغير».

وعن معدل الظاهرة يؤكد إبراهيم «أن دلوقتي في ناس كتير عايزة تبيع لأن الظروف سيئة جدًا والناس مش لقية حل تسرق يا تبيع عيالها، وتبيع نفسها ولما أي حد يلاقي أن بيع نفسه أو جزء من نفسه أفضل حل عشان كده كل الفقر لما يزيد زي دلوقتي والظروف تتأزم يزيد البيع».

وعن كيفية ضبط عملية البيع يؤكد إبراهيم أن طول ما في ناس فقيرة وفي ناس غنية الموضوع عمره ما هيضبط لأن الفقير عنده مصلحة من وراء عملية البيع يعني عايز فلوس يحل بها مشاكله زي ما أنا كنت عايز فلوس أسدد ديوني عشان كده وافقت على البيع ودلوقتي بوافق أقنع غيرى بالبيع، والغني لما يمرض وحياته تبقى في خطر عايز مصلحة في عملية الشراء عشان كده الموضوع عمره ما هيضبط إلا بقى لو عملوا قطع غيار صناعي يبقى الغني هيحل مشكلة المرض والفقير يروح في داهية.

وبسؤال إبراهيم عن رغبته في زيادة هذه العملية أم رغبته في أن تقل أكد «أنه يرغب في أن تقل هذه العملية لأن أصعب حاجة في الدنيا أن الإنسان يبيع حتة من نفسه بس الظروف صعبة والحياة مرة ونفسي الأغنياء يلاقوا علاج لأمراضهم من غير محد يبقى محتاج حاجة هو مش راضي عنها.

الحالة الحادية عشر :(مصر الجديدة – القاهرة- حالة إخبارية)

البيانات الأساسية

الاسم: منى

المؤهل: ليسانس آداب قسم اجتماع

المهنة: مدير شئون المرضى بأحد المستشفيات الاستثمارية

الخبرة: ٢٣ سنة خبرة.

تمهيد:

تعرف الباحث على الحالة عن طريق أنها كانت زميلة دراسة، وكان هناك اتصال دائم بها، وعندما بدأ العمل كعضو في فريق بحث الاتجار في الأعضاء البشرية كان لابد من الاستعانة ببعض الإخباريين من أصحاب الخبرة في المجال الطبي خاصة مجال أمراض الكلى والكبد والتي غالبًا ما يتم الاتجار فيهما.

قام الباحث بالاتصال بزميلة الدراسة القديمة مني وعرض عليها التعاون معه في التعرف على هذه الظاهرة وأبعادها المختلفة من خلال خبرتها في هذا المجال الذي تعمل فيه منذ ما يزيد عن عشرين عامًا، وافقت على التعاون.

وقرر الباحث أن يجري مقابلة متعمقة مع منى للتعرف على خصائص البائعين وخصائص المشتري وأطراف عملية البيع من الوسطاء وأماكن البيع وطرق إقناع البائعين ودوافع عملية البيع وكل معلومة كبيرة وصغيرة تتعلق بأبعاد عملية الاتجار.

خصائص البائع:

١. غالبًا ما يكون البائع من مستوى اجتماعي واقتصادي متدن للغاية، فهم في الغالب من الفقراء الذي يعيشون تحت خط الفقر.

٢. دائمًا ما يسكنون المناطق الشعبية والعشوائية في المدن أو القرى والنجوع والكفور من الريف.

٣. دائمًا ما ينحدرون من أسر كبيرة الحجم، ولم يتمكنوا من الحصول على قدر مناسب من التعليم.

٤. غالبًا ما يكون البائع في مرحلة الشباب تقريبًا من سن ٢٥ إلى ٤٥ سنة، وتكون حالته الصحية جيدة إلى حد ما.

٥. غالبًا ما يكون البائع متعطلاً عن العمل أو يعمل عملاً موسميًا أو يعمل بوظيفة لا تدر عليه مبالغ كبيرة تكفيه لإعالة أسرته أو سد احتياجاته الشخصية إن لم يكن متزوجًا.

٦. النسبة الأكبر من البائعين تكون من الشباب الذي لم يتزوج بعد وإن كان متزوجًا يكون فترة زواجه قصيرة ولديه أبناء كثيرة.

٧. دائمًا ما يكون البائع يمر بظروف اقتصادية سيئة أو أزمة اجتماعية أو ورطة يحتاج فيها إلى المال.

٨. غالبًا ما يكون البائع قد طرق أبوابًا كثيرة لحل مشكلاته ولكنها سدت في وجهه قبل التفكير في عملية البيع التي يعتقد أنه يضحي بنفسه من أجل الآخرين، وغالبًا ما يقدم لنفسه مبررات عديدة لعملية البيع منها بالطبع التبرير الديني.

خصائص المشتري:

١. غالبًا ما يكون من مستوى اجتماعي اقتصادي مرتفع، فلابد أن تكون ظروفه الاقتصادية جيدة للغاية خاصة وأن هذه العملية تتكلف مبالغ كبيرة جدًا، وإن لم يكن يستطيع توفير تكاليف العملية لابد وأن تكون هناك جهات مانحة تستطيع أن توفر له هذه التكاليف، فتكاليف زراعة الكلى تتخطى الـ ٣٠٠ ألف جنيه مصري وفقًا لتقرير مستشفى وادى النيل.

٢. دائمًا ما يكون المشتري من سكان المناطق الراقية والمتحضرة.

٣. دائمًا ما يكون المشتري من أسرة ميسورة الحال ومتماسكة تقف بجوار مريضها، وغالبًا ما يكون المستوى التعليمي لهم مرتفعًا أو مستوى الوعي كبيرًا.

٤. غالبًا ما يكون المشتري في سن كبيرة من ٣٥ إلى ٦٥ سنة، وهناك بعض الحالات الشابة التي لم تتجاوز العشرينيات لكن عددها قليل.

٥. غالبًا ما يكون المشتري من العاملين في قطاعات تدر عائدًا كبيرًا فقد يكون تاجرًا أو رجل أعمال أو موظفًا كبيرًا سواء في القطاع الحكومي أو الخاص.

٦. غالبًا ما يكون المشترى من أسرة صغيرة وغالبًا ما يكون متزوجًا ولديه عدد قليل من الأطفال.

٧. دائمًا ما يكون المشترى قد حدث له المرض بشكل مفاجئ ويكون غالبًا ليس أمامه فرصة للاستمرار في عملية الغسيل ويكون الأفضل له إجراء عملية الزرع.

أطراف عملية الوساطة:

١. الوسيط الحقيقي طبيب وغالبًا ما يكون غير نظيف ومتلاعبًا ومستغلاً ولا يحافظ على شرف المهنة، فهؤلاء الأطباء يمكن تشبيههم بأطباء النساء والولادة الذين يقومون بعمليات إجهاض غير شرعية وترقيع غشاء البكارة، حيث يتعرف على الحالات المقتدرة والتي يتوافر لها المال عن طريق عمله سواء بالعيادة أو المستشفى الذي يعمل به، وهذا الطبيب لا يعمل بمفرده بل يكون لديه فريق عمل من أطباء صغار في السن وطبيب تخدير وبعض الممرضين، وغالبًا ما يكون هو أخصائي جراحة، ودائمًا ما يحصل الوسيط الطبيب على المشتري بسهولة فهو في الغالب أحد مرضاه. أما بالنسبة للبائع فيصل إليه غالبًا عن طريق أحد مساعديه أو فريق التمريض الذي يعمل معه، وفي قليل من الحالات عن طريق أحد المعارف من غير العاملين في القطاع الطبي، لكن لابد وأن تكون صلته بالطبيب قوية حتى يمكنه اللجوء إليه في مثل هذا العمل.

٢. الوسطاء من هيئة التمريض أو العاملين في نفس القطاع المهني يكونون أكثر قربًا من المرضى وقد يكونون هم الوسيط بين المشتري والطبيب أو هم همزة الوصل الأولى على الأقل، فالطبيب قد لا يستطيع أن يفاتح المريض بمثل هذا الأمر، وهم أيضًا يقومون بتوفير البائع عن طريق المعرفة المباشرة من الجيران أو الأقارب والمعارف خاصة وأن هذه الفئة دائمًا ما تنتمي إلى مستوى اجتماعي اقتصادي متدن أقرب إلى حالات البائع، والوسطاء من المرضين غالبًا ما تكون ظروفهم الاقتصادية سيئة وقد يستغلون المهنة لتحقيق أرباح، فهم دائمًا الوسيط بن المشتري والطبيب وكذلك حلقة الوصل بين البائع والطبيب أو بين البائع والمشتري، وغالبًا ما يأخذون عمولات من كل أطراف العملية سواء الطبيب أو البائع أو المشتري.

٣. هناك وسطاء آخرون من الأشخاص العاديين لهم علاقات مباشرة إما بالأطباء أو المرضين وهم غالبًا لا يلتقون بالمشتري ولكنهم يحضرون البائع إلى هؤلاء الوسطاء من الأطباء والمرضين، وغالبًا ما يأخذون عمولات مزدوجة من البائع والوسطاء الآخرين.

٤. هناك وسطاء جدد في ظل انتشار عملية بيع الأعضاء البشرية، فقد أصبحت مصر سوقًا رائجة، لهذه التجارة، ومن بين الوسطاء الجدد بعض المستشفيات حيث يذهب البائع مباشرة لإدارة المستشفى التي تتعامل معه مباشرة أو عن طريق بعض المرضين وهنا تكون كل العمولات داخلة لإدارة المستشفى وهم الذين يوزعون العائد بنسب مختلفة على الأطراف المشاركة في العملية.

٥. قد يكون الوسيط عبارة عن عيادة صغيرة يذهب إليها البائع وعن طريقها يقوم الطبيب وهيئة التمريض بتجهيز البائع للعملية عن طريق أخذ عينات منه وعمل تحاليل وإشاعات، وعند التأكد من صلاحيته لإجراء الجراحة لأحد المشترين ينقل إلى المستشفى الكبير لإجراء العملية إذا كان من أصحاب المال الوفير، وقد ينقل لمستشفى أقل في التكاليف حسب مقدرته المالية أي مقدرة المشتري، فالتوزيع من العيادة إلى المستشفيات حسب الطلب وحسب المبلغ المدفوع.

أماكن إجراء الجراحة:

١. تتم العمليات في بعض المستشفيات الكبرى ذات السمعة الطيبة والتي تمتلك أطباء وهيئة تمريض على أعلى مستوى مهني ولديها غرف عمليات مجهزة بأحدث الأجهزة الطبية ولديها غرف للرعاية الفائقة، وهذه المستشفيات تقدم أوراقًا رسمية بتكاليف العملية للمريض، ولكنها في حالات الاتجار لا تذكر في أوراق المستشفى أن هناك عملية بيع قد تمت لكن الذي يذكر في الأوراق الرسمية أنها حالات تبرع من الأقارب غالبًا.

٢. هناك بعض المستشفيات الصغرى (تحت السلم) والتي لا تتوافر بها هيئة طبية ذات مستوى مهني كبير، وليس لديها تجهيزات كبيرة ولا أجهزة حديثة ولا غرف للرعاية الفائقة، وإنما تتوافر بها بعض التجهيزات الضرورية واللازمة لإجراء مثل تلك الجراحات. وهذه المستشفيات لا تقدم أوراقًا رسمية بتكاليف العملية للمريض ودائمًا ما تتم هذه العمليات بشكل سري ولا يعلم بها أحد خاصة المسئولين في وزارة الصحة والذين يراقبون هذه المستشفيات بالطبع، ولا تذكر هذه المستشفيات في أوراقها الرسمية ودفاترها إجراء مثل هذه العمليات.

أساليب التحايل المستخدمة من الوسيط:

١. لا توجد أساليب تحايل بين الوسيط والمشتري، فدائمًا ما يكون الاحتياج متبادلاً، فالوسيط يريد الحصول على عمولة والمشتري يرغب في الحصول على العضو الذي يريد زراعته، ودائمًا ما يخضع المشتري لشروط الوسيط أثناء عملية التفاوض خاصة وأن توافر البائع بنفس المواصفات الطبية للمشتري يكون أمرًا بالغ الصعوبة، وغالبًا لا يتم من أول مرة لكن لابد من إحضار أكثر من بائع حتى تتوافر الشروط الطبية المطلوبة لحالة المشتري.

٢. أما أساليب التحايل بين الوسيط والبائع فغالبًا ما تكون مفاتحة البائع في الموضوع أصعب المراحل التي تتطلب مهارة في التعامل وحرصًا شديدًا من قبلا الوسيط، لكن بعد هذه المرحلة وإقناع البائع بعملية البيع تكون الأمور كلها سهلة، فالوسيط والبائع يخضعان لما يمكن تسميته المنفعة أو المصلحة المشتركة حيث تخضع المسألة لعملية العرض والطلب، والتاجر الشاطر هو الذي يبيع بالغالي ويشتري بالرخيص والعكس صحيح، ودائمًا ما تأتي الحاجة المادية كدافع لعملية البيع، ويسعى البائع للحصول على أعلى سعر، ويحاول الوسيط أن يعطيه أقل سعر حتى يأخذ الفرق في جيبه وهو الفارق بين سعر البيع وسعر الشراء.

لماذا يوافق البعض على عملية البيع ويرفض البعض الآخر:

١. بالنسبة لمن يوافق على عملية البيع هو دائمًا ما يكون في حالة يأس وإحباط وظروفه المادية صعبة للغاية وفي حاجة ماسة للمال لحل مشكلة أو الخروج من مأزق، وغالبًا ما تكون الأبواب موصدة في وجهه. وهناك بعض البائعين الجشعين الذين يحبون المال ويسعون للحصول عليه بأي طريقة حتى وإن كانت بيع جزء من جسمه، وغالبًا ما يكون الوازع الديني لدى البائع ضعيفًا وإيمانه مهتزًا وقناعته قليلة، ولا يوجد لديه حالة رضا بالقسمة والنصيب.

٢. أما الذين يرفضون عروض البيع رغم تشابه الظروف السابقة مع ظروف البائعين فهم أكثر تدينًا وأكثر إيمانًا بالله ورضى بالقسمة والنصيب، وغالبًا ما يكون لديهم قناعة وعزة نفس وكرامة ويشعرون بأن البيع مقابل فلوس هو إهدار لكرامة الإنسان وأدميته، فهو فقير وظروفه سيئة لكنه يرفض أن يعطيه أحد أو يمد يده إلى أحد «تحسبهم أغنياء من التعفف» ينامون على الرصف لكنهم يرفضون بيع جزء من جسدهم فهم يرفضون النظر إلى الجسم على أنه سلعة تباع وتشترى بل هي أمانة منحها الله للفرد ولابد من المحافظة عليها.

في حالات عدم التطابق ماذا يحدث:

في الحالات التي لا تتطابق فيها أنسجة البائع مع المشتري أو في حالة وجود موانع طبية لإجراء العملية للبائع، يقدم له مبلغ بسيط على سبيل الترضية مقابل عطلته أثناء إجراء التحاليل والإشاعات ويتم الاعتذار له، لكن في بعض الحالات التي تكون ظروفها الصحية جيدة ولم يكن هناك توافق في الأنسجة أو فصيلة الدم يظل الوسيط محتفظًا ببيانات البائع حتى يجد مشتريًا تنطبق عليه نفس الشروط فيقوم بالاتصال به من أجل الحضور لإجراء العملية وفي هذه الحالة يأخذ المبلغ المتفق عليه كاملاً، هذه العملية يمكن أن نطلق عليها أن البائع يوضع على «الويتنج لست» حتى يأتي المشتري المناسب.

سرية العمليات:

١. دائمًا ما تتم هذه العمليات في سرية تامة فالمريض لا يتحدث عن العملية ولا مكانها ولا عن الوسيط سواء كان طبيبًا أو ممرضًا أو شخصًا عاديًا ولا يتحدث عن البائع، لكن كل المراحل تتم في سرية خوفًا على فضح أحد أطراف عملية البيع ممن يأخذون عمولات كبيرة أو صغيرة حتى يتمكن المريض (المشتري) من إجراء الجراحة بسلام وحتى لا يفضح أمر الوسطاء والقائمين على عملية الجراحة.

٢. هناك مستشفيات يدخل المريض ويزرع العضو المراد زراعته دون أن تعلن المستشفى أن هناك مريضًا يقوم بعمل هذه الجراحات بل إنه يتم تزوير في الأوراق الرسمية فيقال إنه يجري جراحة عادية مشروعة ليست بها شبهة اتجار وتتم العملية ويخرج المريض دون أن يعلم أحد حتى بعض العاملين في المستشفى ماذا تم للمريض غير القائمين على إجراء الجراحة وبعض الأطراف في إدارة المستشفى.

٣. لا تقدم بعض المستشفيات أوراقًا رسمية حول هذه العمليات حيث يدخل المريض ويخرج بعد إجراء الزراعة دون أن يعلم عنه أحد.

٤. دائمًا ما يكون سبب السرية الرئيس هو العمولات الكبيرة وعملية الاستغلال البشعة التي يحصل من خلالها الأطباء والوسطاء والمستشفى على مبالغ كبيرة من أطراف عملية البيع.

ملاحظات عامة:

١. هناك بعض المستشفيات الكبرى ترفض أن يحضر المريض متبرعًا (بائعًا) فالمستشفى هو المسئول الأول والأخير عن عملية البيع بكل مراحلها فهو الذي يحضر المريض أو يأتي إليه طواعية فيقوم بتجهيزه للعملية وهو الذي يحضر له البائع، وفي بعض الأحيان لا يرى المريض البائع مطلقًا وهو يدفع تكاليف العملية كلها إلى المستشفى، وهو الذي يقوم بتوزيع المبلغ على الوسطاء والبائع.

٢. هناك عمليات سرقة للبائعين بين المستشفيات حيث يذهب البائع لوسيط في مستشفى ويكتشف أن هناك وسيطًا آخر في مستشفى آخر ممكن أن يدفع أكثر فيذهب لمن يدفع أكثر، وهناك أيضًا سرقة بين المستشفيات للمشتري فالمستشفى الكبير قرر أن عملية زرع الكلى بـ ٦٠ ألف دولار، هناك بعض الوسطاء سواء من الأطباء أو الممرضين يعرضون على المشترى مستشفى آخر يمكن أن يجري العملية بسعر أقل كثيرًا من سعر المستشفى الكبير فيذهب المريض إلى المستشفى الأقل سعرًا وفقًا لقدرته المالية.

٣. ودائمًا ما تبدأ عملية الوساطة سواء كان طبيبًا أو ممرضًا أو شخصًا عاديًا بالصدفة وبعد مرور الزمن وتكرار العملية تصبح المسألة احترافًا ويتعامل الوسطاء مع العملية على أنها بيع وشراء لسلعة تخضع لآليات السوق وفق العرض والطلب.

الحالة الثانية عشر:(مصر الجديدة – القاهرة - إخباري – طبيب)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: فتحي

المؤهل الدراسي: بكالوريوس طب

المهنة: طبيب بقسم الغسيل الكلوي بمستشفى استثماري .

الخبرة: ٢٠ سنة

تمهيد:

تعرف الباحث على الحالة عن طريق زميلة الدراسة منى التي قبلت من قبل التعاون معه وقدمت خبراتها في مجال شئون المرضى للمساعدة في الدراسة الراهنة، حيث عرضت منى على الدكتور فتحي التعاون مع الباحث من خلال خبرته في مجال أمراض الكلى حيث يعمل في هذا المجال منذ سنوات طويلة بمستشفى استثمارى كبير ولديه خبرة في موضوع نقل وبيع الأعضاء، وقد وافق بعد أن طمأنته على سرية البيانات التي سوف يدلي بها، حيث أن البحث يتم من خلال المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، وهي هيئة علمية محترمة لا يمكن أن تفشي بأسرار البحث، والباحث زمل دراسة قديم ومحل ثقة بالنسبة لها، وبما أنه زميل لها منذ أكثر من عشرين عامًا فقد وافق على التعاون مع الباحث وتقديم كل المعلومات التي يعرفها في هذا المجال، وبعد ذلك عقد الباحث معه ثلاث مقابلات متعمقة للتعرف على خصائص وأبعاد الظاهرة من حيث البائع والمشتري والوسطاء وأماكن البيع وأساليب التحاليل وأسباب السرية وكيفية ضبط عملية الاتجار في الأعضاء البشرية.

خصائص البائع:

يؤكد د. فتحي أن أهم ما يميز البائع الفقر الشديد والحاجة إلى المال لذلك يلجأ إلى بيع جزء من جسده لحل مشكلاته وأزماته المادية، لذلك أصبح هناك

سوقًا رائجة نتيجة ارتفاع نسبة الفقر في السنوات العشر الأخيرة «فأنا ولا أنت لو عرضوا علينا مليون جنيهًا عشان بيع كلية مش هنوافق لكن الناس الغلابة والمحتاجين يتقبلوا البيع بأي ثمن دلوقتي في ناس تبيع كلى بخمسة آلاف جنيهًا بس.... دلوقتي الكلية بقت بتتراوح في ثمها بين خمسة آلاف جنيهًا وخمسة وعشرون ألف جنيهًا، ده السعر الطبيعي في السوق بعد ارتفاع نسبة العرض، أصل المسألة عرض وطلب وكلما زاد العرض قل السعر «وعلى فكرة متقدرش تقول أن في خصائص محددة للبائع غير الفقر فهم من كل الأعمار والمستويات التعليمية والجغرافية والاجتماعية، الفقر والحاجة المادية هي الفيصل في الموضوع».

خصائص المشتري:

يؤكد د. فتحي «أن المشتري دائمًا بيكون غني لأن الفقير مش بيفكر في النقل والزراعة لكن لو الموضوع كلى بيعمل غسيل مدى الحياة ولو الموضوع كبد بياخد علاج لغاية ربنا ما يرحمه برحمته، على فكرة حتى لو المريض مش هيشتري بس عايز نقل وزراعة من خلال متبرع لازم يكون غني جدًا لأن العملية حتى لو في متبرع بتتكلف مبالغ طائلة، والمشتري غالبًا بيكون مش مصري يعني النسبة الأكبر من المشترين عرب ومن الخليج وبالتحديد السعودية، الكويت، الإمارات، قطر، البحرين، دول غنية وعندها فلوس، وطبعًا النسبة الأقل من المشترين مصريون، فعملية التجارة يغلب عليها الأجانب سواء في البيع أو الشراء يعني ممكن أقول أن خصائص المشتري غير محددة، فالقدرة المالية هي ما يميز المشتري، ذلك لأن المرض حين يحدث لا يفرق بين المستويات العمرية والتعليمية والمهنية».

أطراف عملية الوساطة:

١. الوسيط الرئيسي في عملية بيع الكلى أو الكبد هو الطبيب المتخصص في مثل هذه الأمراض حيث يذهب إليه المريض من أجل عملية النقل والزراعة وهو في الغالب ليس طبيبًا عاديًا لأنه ليس كل طبيب كلى أو كبد يصلح لإجراء مثل هذه العمليات فهو دائمًا طبيب كبير صاحب خبرة متقدمة

في إجراء مثل هذه العمليات، والمريض الذي يرغب في الشراء يستطيع الوصول بسهولة لهؤلاء الأطباء أصحاب الخبرة في مجال الزراعة عن طريق السؤال، وهذا الطبيب صاحب الخبرة تكون بيده كل الخيوط فهو يستعين بفريق طبي مكون من جراح وطبيب أوعية دموية وطبيب تخدير هذا إلى جانب فريق تمريض، والطبيب الكبير هو الذي يوزع النسب المالية على فريق العمل الطبي حيث يستأثر لنفسه بالنصيب الأكبر ثم يليه الجراح ثم طبيب الأوعية ثم التخدير وأخيرًا التمريض، إذن الطبيب المتخصص هو الحلقة الأولى في عملية الوساطة لأنه يوفر المشتري.

٢. معامل التحاليل والعاملين بها هم الحلقة الثانية في عملية الوساطة والتي لا تقل أهمية عن الوسيط الأول، فالمعمل هو المطبخ الذي يتم فيه إعداد البائع، فالطبيب يلجأ إلى المعمل ويطلب منه إحضار بائع بنفس المواصفات الطبية للمشتري من حيث فصائل الدم والأنسجة التي دائمًا ما تتم في هذه المعامل، والآن يذهب بعض الراغبين في البيع إلى المعمل مباشرة، والمعمل هو الذي يقدم الزبون إلى الطبيب الذي يقوم بالعملية.

٣. بعض السماسرة من هيئة التمريض الذين يتجهون إما للطبيب مباشرة أو إلى معامل التحاليل لتقديم من يرغب في البيع حيث يتم الكشف عليه وأخذ العينات منه لإجراء التحاليل المطلوبة لإجراء العملية.

٤. بعض السماسرة من خارج هيئة التمريض وهم أشخاص عادين يحضرون الراغب في البيع إما إلى الطبيب أو هيئة التمريض أو معامل التحاليل حيث يأخذ منه عينات لتحليلها من أجل إجراء عملية البيع.

٥. بعض البائعين السابقين يتحولون إلى سماسرة حيث يقوم بإقناع من يمر بظروف مادية صعبة بإمكانية الحصول على المال من خلال بيع جزء من جسده ويتجه به إلى الطبيب أو التمريض أو الوسيط العادي أو معامل التحاليل حيث تأخذ منه عينات لإجراء التحاليل المطلوبة لإجراء العملية.

أماكن إجراء الجراحات:

يؤكد د. فتحي أن أماكن إجراء الجراحات ليست مشكلة فهي متوفرة بكثرة ومن كل المستويات، فالطبيب الذي يعد الحلقة الأولى في عملية الوساطة بعد أن يكون قد وفر المشتري الذي يرغب في الشراء عن طريق عيادته أو مستشفاه يقوم بأخذ عينة منه ويقدمها إلى المعمل حتى يوفر له البائع بنفس المواصفات الطبية وبعد أن يتوافر البائع والمشتري يقوم بالاتفاق مع أي مستشفى تتوافر بها غرف عمليات ورعاية فائقة لإجراء العملية، غالبًا يكون الطبيب على علاقة بعدد من المستشفيات المتفاوتة في مستوياتها، هنا يلجأ الطبيب للمستشفى المناسب حسب إمكانيات المشتري فإذا كان المبلغ المدفوع في العملية كبير يتفق الطبيب مع مستشفى كبير وقد يكون هو نفسه أحد العاملين في هذا المستشفى، وإذا كان المبلغ المدفوع ليس كبيرًا يلجأ الطبيب إلى مستشفى صغير توافق إمكانيات المشتري على أن تتوافر بها غرفة عمليات ورعاية فائقة صالحة لإجراء الجراحة والآن يلجأ الأطباء إلى مستشفيات المحافظات بعيدًا عن العاصمة والمدن الكبرى خاصة بعد تركيز وسائل الإعلام وإثارة الرأي العام حول هذه الجراحات.

أساليب التحايل المستخدمة في عملية البيع:

يؤكد د. فتحي أن عملية البيع لا تمارس فيها أي أساليب للتحايل من قبل البائع أو المشتري أو الوسطاء لأن كل هؤلاء لديهم رغبة ومصلحة في إجراء العملية لكن بعض التحايل يتم فقط من قبل المستشفيات حيث تتحايل على النقابة فبعض المستشفيات الكبرى مثل وادي النيل ودار الفؤاد تقوم بالتحايل عن طريق إحضار مشتري أجنبي وكذلك بائع أجنبي ويعترف البائع: أنه متبرع ولن يأخذ «فلوس» ويقدم تعهد بأنه متبرع أمام النقابة وبالتالي توافق النقابة على إجراء العملية من خلال هذا التحايل، وهذه المستشفيات الكبرى بتقوم الآن بتجنيد العرب الراغبين في الشراء فمن يشتري يرجع إلى بلده ويتحدث عن نجاح العملية وعن مكان إجراءها فمن يتعرض بعد ذلك لنفس المرض يأتي إلى مصر ونفس المستشفى،

هـذا إلـى جانـب أنهـم يجنـدون الآن بائعـين عـرب حتـى يكـون هنـاك موافقـة مـن النقابـة فالمريض أجنبـي والمتبـرع «بائـع» أجنبـي وبذلـك لا توجـد مسـألة من أي جهـة، وسـوق الاتجـار بـه عـدد كبيـر مـن البائعـين مـن بعـض الـدول العربيـة الفقيـرة خاصـة مـن سـوريا وفلسـطين واليمـن والصومـال، وبالطبـع حتـى لـو كان فيـه بائـع مصـري هيبيـع لأجنبـي المستشـفيات الكبيـرة دي بتعتمـد علـى التحايل مـن ناحيـة ومـن ناحيـة ثانيـة علـى أن مفيـش حـد يقـدر يفتـش عليهـا بمعنـى «ممنـوع التفتيـش» علـى عكـس المستشـفيات الصغـرى اللـي ممكـن أي حـد يهجـم عليهـا ويفتشـها.

لماذا يوافق البعض ويرفض البعض الآخر رغم تشابه الظروف:

يعنـي أنـت بتسـأل عـن أسـباب البيـع أنـا قلـت قبـل كـده أن السـبب الرئيسـي لعمليـة البيـع هـي الحاجـة الماديـة والفقـر، لأن الفقـر هـو سـبب كل المشـكلات اللـي في الدنيـا والنـاس بتعتقـد أن الحـل في الفلـوس عشـان كـده في نـاس بتلجـأ لعمليـات البيـع اعتقـادًا منهـم أن الفلـوس اللـي هيخدوهـا هتحـل كل مشـكلاتهم وأزماتهـم لكـن معظـم النـاس اللـي باعـت محلتـش مشـكلاتهم لأنهـم بيصرفوهـا ويرجعـوا تانـي محلـك سـر، والغالبيـة بتنـدم بعـد فـوات الأوان ومنهـم بيحـاول يبتـز اللـي اشـتروا منـه سـواء كان المريـض مباشـرة أو الوسـطاء بـكل أشـكالهم وهـو ده اللـي فتـح العيـون علـى هـذه العمليـات أمـا بالنسـبة للنـاس اللـي بترفـض تبيـع رغـم الظـروف الصعبـة أولاً دول نـاس عندهـم وعـي بـأن البيـع مـش حـل وكمـان عندهـم إيمـان بربنـا أنـه هيرزقهـم وممكـن يحلـوا مشـكلاتهم مـن خـلال قدرتهـم الذاتيـة يعنـي عندهـم ثقـة في ربنـا وفي أنفسـهم.

ماذا يحدث في حالات عدم التطابق:

يؤكـد د. فتحـي أنـه في مثـل هـذه الحـالات غالبًـا لا يأخـذ الراغـب في البيـع أي شـيء لأن عمليـة الدفـع تتـم عنـد لإجـراء العمليـة فالمتبـع أن يذهـب الراغـب في البيـع إلـى المعمـل ويقـدم عينـات فجـراء التحاليـل اللازمـة ويتـرك عنوانـه وتليفوناتـه ووسـائل الاتصـال بـه سـواء مباشـرة أو غيـر مباشـرة «عـن طريـق وسـيط» وعندمـا يتوافـر مشـتري يتـم الاتصـال بـه، إذن البائـع لا يمكنـه أن يطلـب شـيء إذا لـم تتوافـر فيـه شـروط عمليـة الشـراء لأنـه يقـدم

التحاليل ويذهب لحال سبيله وإذا توافر مشترى وهذه العملية قد تأخذ وقت طويل يبدأ المعمل في الاتصال بالراغب في البيع وهنا يبدأ التفاوض المالي، لذلك استطيع أن أكد أن الراغب في البيع، إذا لم تتوافق تحاليله مع المشتري لا يأخذ أي مقابل مالي، البيع مش بالنية، البيع يكون بالفعل لما يحصل يعني.

سرية العمليات:

يؤكد د. فتحي أن السبب الرئيسي في سرية مثل هذه العمليات عدم وجود قانون أو تشريع يحكم هذه العملية، وظهور بعض الشكاوي من قبل بعض من قاموا بعمليات بيع وبعد أن ينفقوا المبلغ الذي حصلوا عليه من عمليات البيع يبدأون في إثارة مشاكل من نوعية إحنا اتسرقنا ويقدموا بلاغات في المستشفى والأطباء، لذلك بدأت المستشفيات والأطباء يريحوا أنفسهم بحيث لا يتعاملون مطلقًا مع البائع بشكل مباشر، فالبائع يذهب لإجراء العملية في المستشفى ويخرج دون أن يرى أو يتعامل مع المشتري أو فريق إجراء العملية أو إدارة المستشفى ، هذا إلى جانب أن الأطباء والمستشفيات والمعامل والوسطاء يحصلون على مبالغ كبيرة من هذه العمليات فيحاولون أن تكون العملية كلها سرية، العمليات دي انتشرت بصورة كبيرة في ال ٧-٨ سنوات الأخيرة وارتفعت تكاليف العملية إلى أربع أضعاف نتيجة ازدياد الطلب من قبل الأجانب، وكمان عشان الضجة الإعلامية المثارة حولها واتهام بعض الأطباء بسرقة الأعضاء ومحاكمة بعضهم ووقفه عن العمل «في واحد اتهم طبيبة بالسرقة وسجنت سنتين في قضية ادعاء سرقة مع أنه في الأصل بائع وليس مسروق» شوف مستشفى ابن سينا في الدقي مستشفى عشرة طوابق كانت زمان مشهورة بالموضوع ده كنت تدخل المستشفى تلاقي عشرين واحد وأكثر عاملين عمليات زراعة ومكنش حد بيسأل عنهم دلوقتي تروح المستشفى تلاقي الموضوع في سرية تامة عشان وجع الدماغ ومنع المشاكل رغم أن القانون لغاية دلوقتي مش بيجرم هذه العمليات.

الحالة الثالثة عشر: (مصر الجديدة – القاهرة - إخباري – أخصائي تحاليل)

أولاً: البيانات الأساسية:

الاسم: ياسر

المؤهل الدراسى: بكالوريوس علوم

المهنة: أخصائي تحاليل بمستشفى استثماري (معمل)

الخبرة: ١٥ سنة

ثانيًا: خصائص البائع:

اعتقد أن أهم ما يميز البائع هو الفقر الشديد سواء كان مصري أو أجنبي فالظروف المادية المتدهورة هي العامل المشترك بين كل من أقدم أو حاول أن يقدم على مثل هذه العمليات، طبعًا أحنا بنشوف مظهرهم وممكن نستشف منه حاجات كثيرة عن ظروف معيشتهم بس مفيش حد يقدر يقول بالتحديد ظروفهم الاسرية وظروف مسكنهم، لكن ممكن أقول أنهم غالبًا شباب في العشرينات وبداية الثلاثينات وموضوع التعليم دلوقتي أصبح مش شرط فهناك كثير من المتعلمين بيعانوا من البطالة وبالتالي بيمروا بظروف ومشكلات مادية ممكن تدفعهم لفعل مثل هذه العمليات وطبعًا أهم مبرر عند الجميع الظروف الصعبة وده حل لمشكلاتهم وفي نفس الوقت حل للمريض وربنا أكيد هيسامحهم عشان عملوا خير وأنقذوا حياة إنسان هي دي في الغالب أفكارهم.

ثالثًا: خصائص المشتري:

أعتقد أن أهم ما يميز المشتري الإمكانيات المادية العالية لأن أقل عملية بتتكلف أكثر من ربع مليون جنيه وطبعًا الناس اللي ظروفها المادية مش بتسمح عمره ما بيفكر في مثل هذه العمليات وطبعًا الواحد يقدر يعرف من مظهر الشخص ظروفه، فالمشتري غالبًا من مستوى راقي وفي الغالب متعلم والمرحلة العمرية بتكون حسب الظروف، ساعات بنشوف أطفال وشباب وساعات ناس كبيرة في السن، في الغالب

الناس دي بتبقى بتعمل في مهن كويسة جدًا وأحوالهم عالية قوى وطبعًا مبررات الشراء هي ظروف المرض والمريض واهله بيكونوا عايزين ينقذوا حياته بأي ثمن.

رابعًا: أطراف عملية الوساطة

١. الأساس في مثل هذه العمليات هم الأطباء الذين يتردد عليهم المرضى الراغبون في عمليات الشراء فدائمًا ما تبدأ العملية من عيادة هذا الطبيب وفي الغالب هؤلاء الأطباء أصبحوا معروفين بالواحد في الوسط الطبي كل واحد حسب تخصصه وكمان أصبحت أسعارهم معروفة يعني فيه أطباء الصفوة وفي أطباء الفئات العليا وفيه أطباء الناس العاديين وبالطبع كل فئة يتردد عليها الراغب في الشراء حسب إمكانياته المادية.

٢. بالنسبة لمعامل التحاليل أحنا بنكون المرحلة الثانية وطبعًا أحنا بنقوم بالتحاليل لكل من البائع والمشتري وده في الغالب بيكون بتوجيه واتفاق مع الطبيب أو أي حد من طرفه ممكن يكون طبيب صغير تحت أيده أو ممرض من طرفه في عيادته يعني أو حتى سكرتارية الطبيب ده، وطبعًا مفيش حد صغير في المعمل بيبقى هو المتعامل مع الطبيب لكن في الغالب صاحب المعمل أو مديره يعني المسئول الكبير أما بالنسبة للأخصائيين الصغار اللي زي حالتنا بنبقى فاهمين وساكتين وفي ساعات بعض الأخصائيين بيجيبوا ناس عايزة تبيع دول في الغالب إما ناس من هيئة التمريض في المستشفيات أو حتى ناس عاديين لكن في النهاية الأخصائي لازم يرجع لصاحب المعمل أو المسئول الكبير اللي في المعمل لأن التعامل مع الطبيب اللي بيوفر المشتري عمره ما بيكون مع حد صغير، طبعًا المعمل بياخد عينات من المريض وتفضل موجودة عنده، عندما تتوافر عينات مطابقة من واحد عايز يبيع تبدأ المسائل تتحرك في اتجاه إتمام العملية أنا عارف طبعًا أن الطبيب بيدفع لصاحب المعمل أو المدير لكن الصغار في الغالب مش بيخدوا حاجة إلا إذا كان هو اللي جايب البائع أو من خلال حد من طرفه بياخد نسبة أو حصة كسمسرة أو عمولة من عملية البيع

٣. بعض الوسطاء الصغار زي هيئة التمريض والسكرتارية عند الطبيب والأخصائين بتوع التحاليل الصغار مع بعض الممرضات والناس العادية اللي جاية وعارفة أن المعمل دهه بيشتغل في الموضوع ده وساعات فيه ناس عايزة تبيع بتيجي من نفسها للمعمل يكون حد عرفهم طريقة أو حكى معاهم عليه، وطبعًا دي كلها حلقات مساعدة بين الطبيب الكبير وأصحاب معامل التحاليل الكبيرة.

خامسًا: أماكن إجراء الجراحات:

طبعا أماكن إجراء الجراحات هي المستشفيات اللي عندها إمكانية الإقامة وتجهيز غرفة عمليات كبيرة لأن الموضوع مش سهل وبيحتاج ظروف معينة يعني عمليات تعقيم وعناية مركزة وأجهزة وأدوات مرتفعة التكاليف، يعني العمليات دي مش زي عمليات الإجهاض يعنى عيادة طبيب تنفع لكن العمليات دي خطيرة وتتطلب إمكانيات عالية عشان كده تكاليف العملية كبيرة، بس ممكن أقول أن التكاليف متفاوتة بين ١٠٠ ألف و ٢٥٠ ألف جنيه في نقل الكلى، لكن زراعة الكبد بتتكلف أكثر من نصف مليون جنيه عشان كده مش بتتعمل غير في مستشفيات وادي النيل ودار الفؤاد بس واللي بيعملها واحد ولا اثنين في مصر كلها وطبعًا معروفين بالاسم هذا إلى جانب الخبراء الأجانب وزي ما قلت قبل كده نقل الكلى فيه أساتذة كبار وكتير قوي وليهم مستويات منهم بتوع الصفوة ودول في المستشفيات الخمس نجوم بتاعة المشاهير ونجوم المجتمع، وفي أطباء المستوى الثاني ودول بيستخدموا مستشفيات أقل من المستوى والشهرة بالطبع أقل في التكاليف وأخيرًا الأطباء اللي بيعملوا العملية لناس عاديين بس عندهم فلوس معقولة لإتمام العملية يعني غرفة عمليات كبيرة وعناية مركزة وتعقيم وأدوات.

سادسًا: أساليب التحايل المستخدمة في عملية البيع:

يؤكد ياسر أن عمليات التحايل والتمويه في مثل هذه العمليات كبيرة جدًا وتتم من خلال ثلاثة أطراف الأول التمويه الذي يتم من خلال الطبيب الذي يحضر المشتري

فعندما يحاول البحث عن بائع لا يتعامل بشكل مباشر مع الطرف الذي سوف يحضر البائع فهو لا يلتقي البائع مباشرة وقد تتم العملية دون أن يراه البائع لكن دائمًا ما يستخدم بعض العاملين معه سواء أطباء صغار وهيئة تمريض أو سكرتارية خاصة تكون هي المتعامل المباشر سواء مع الراغب في البيع مباشرة أو مع وسطاء آخرون بيحضروا البائع أما الطرف الثاني الذي يقوم بالتحايل والتمويه فيكون هو معمل التحاليل عن طريق صاحبه أو مديره أو المسئول الكبير فيه حيث يقوم بالتمويه هو أيضًا فلا يتعامل بشكل مباشر مع الراغب في البيع ولا مع المشتري لكنه يستخدم بعض الأخصائيين أو الموظفين الإداريين في المعمل أو السكرتارية للحديث المباشر مع الوسطاء الذين يحضرون البائعين أو البائعين الذي يأتون مباشرة للمعمل، أما الطرف الثالث الذي يقوم بالتحايل فهي المستشفيات حيث تستخدم عدة أساليب للتحايل لعدم الكشف عن أنها تجري مثل هذه الجراحات خاصة في الحالات التي لا يسمح بها حتى الآن مثل كل عمليات البيع فالمسموح به هو التبرع لذلك فهم دائمًا ما يجرون احتياطات ويأخذون تعهدات على البائع تؤكد أنه متبرع وليس بائع، وبالطبع التعاملات المباشرة تكون بين الأطراف الثلاثة الكبيرة، الطبيب وصاحب المعمل أو مديره وصاحب المستشفى أو مديرها.

سابعًا: لماذا يوافق البعض ويرفض البعض الآخر رغم تشابه الظروف؟

يؤكد ياسر أنه من وجهة نظره الشخصية أن الذي يوافق على عمليات البيع يكون قد تعرض لضغوط رهيبة أدت إلى اهتزاز نفس وعدم قدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، فالظروف الاقتصادية السيئة وحدها لا يمكن أن تدفع إنسان لبيع جزء من جسده لكن الإحباط واليأس والمرض النفسي وفقدان الأمل في الحياة المصاحبة للظروف والمشكلات المادية هي الدافع الحقيقي للتفكير في بيع الأعضاء وبالطبع قد يصاحب هذه الظروف المادية والنفسية غياب الالتزام الديني وعدم الصلاة التي تريح الإنسان وتخرجه من حزنه وهمه وكربه وتعيد له توازنه النفسي «فأنا اعتقد أن الناس اللي بتوافق على البيع كلهم مرضى نفسيين بدرجة أو أخرى سواء اعترفوا بكده أو لا».

طبعا الناس اللي بترفض البيع رغم أن ظروفهم المادية سيئة وعندهم مشكلات كثير بتواجههم في حياتهم دائمًا ما يكون لديهم توازن نفسي وفي أسرة وأهل وأصحاب بيدعموهم ويشدوا من أزرهم عشان كده مش بيوصلوا للمرحلة دي وكمان أغلب المصريين متدينين بالفطرة وعشان كده رغم الظروف المادية الصعبة اللي عايش فيها غالبية المصريين إلا أنهم بإيمانهم وتوكلهم على الله عندهم توازن نفسي ولما يتعرض على بعضهم مثل هذه العمليات بيرفض بشدة لأنه عارف أن ربنا هو اللي عنده الحل مش البشر.

ثامنًا: ماذا يحدث في حالات عدم التطابق؟

يؤكد ياسر أنه في حالات عدم التطابق لا يأخذ الراغب في البيع أى مليم لأنه معملش حاجة يستاهل عليها أي مقابل مادي ده هو اللي بيخسر المعمل لأنه بيعمل تحاليل مرتفعة التكاليف ببلاش دون مقابل، وأصل الموضوع مش واحد متطابق مع المشتري لازم تعمل تحاليل لعدد كبير من الراغبين في البيع ونادرًا أن تلاقي مشتري وبائع جاهز من أول تحليل وطبعًا لو الراغب في الشراء هيدفع فلوس لكل واحد بيجرب عشان يشوف أنه متطابق ببساطة أن اللي عايز يبيع بيخدوا منه عينات للتحاليل ويسيب تليفونه أو طبعًا تليفون اللي جايبه لو كان فيه وسيط وبعد لما يتم الاتفاق مع المشتري المناسب يتصلوا بيه وهنا تبدأ عمليات التفاوض على ثمن العملية وممكن ياخد جزء تحت الحساب قبل العملية والجزء المتبقي بعد العملية لكن في حالات عدم التطابق مش بياخد أي شيء.

تاسعًا: سرية العمليات:

موضوع السرية ده اعتقد أنه سببه أن الناس المشاركة في الموضوع بتاع تجارة الأعضاء سواء كان الطبيب أو المعمل أو المستشفى عارفين أنهم بيعملوا حاجة غلط سواء كان فيه قانون ولا مفيش بس أحنا عندنا قانون آخر مش مكتوب وهو العادات والتقاليد والعرف ودى ساعات أقوى من القانون المكتوب كل الناس عارفة

أن التجارة دي حرام وغير مشروعة وفيه اختلاف بين الفقهاء عليها عشان كده الناس دي مش عايزة وجع قلب ودماغ لنفسها وبتعمل الموضوع كله في السر وأن فيه حاجة تانية أن مهنة الطب معروف عنها أنها مهنة إنسانية لكن الناس اللى بيعملوا العمليات دي حولوها لتجارة تدر عليها أرباح أكبر من تجارة المخدرات والعملة وطبعًا عايزين يحافظوا على مكاسبهم بأي شكل عشان كده بيعملوا تمويه وتحايل زي تجارة المخدارت والعملة في الأفلام العربي بيستخدموا ناس مساعدين عشان يبقوا هم في السليم وأن ارتفاع نسبة الأجانب الراغبين في الشراء وكمان الأجانب اللي عايزين يبيعوا على فكرة معظمهم عرب سواء المشترين أو البائعين، المشتري من دول غنية زي دول الخليج والبائع من الأردن وسوريا وفلسطين واليمن والصومال والأفارقة من السنغال ونيجيريا وموريتانيا، دول يوميًا يترددون على معامل التحاليل عشان كده مسألة السرية دي بقت ضحكة سخيفة لأن كل الأطراف معروفة كويس جدًا ولو الداخلية عايزة تقبض على كل الأطراف بما فيهم البائع والمشتري مش هتغلب بس طبعًا الأطراف الكبيرة في الموضوع محمية ومحدش يقدر يجي جنبها سواء الأطباء الكبار أو أصحاب المعامل أو أصحاب المستشفيات أو حتى المرضى الراغبين في الشراء لأنهم في الغالب من أصحاب النفوذ والسلطة والمال، لكن الناس الغلابة هم اللي في وش المدفع والتركيز عليهم زي الوسطاء الصغار والبائعين المساكين اللي دفعهم مصيرهم وظروفهم للدخول في هذه العملية القذرة التي يتم استغلالهم فيها سواء كان بإرادتهم أو بغير إرادتهم لأنهم في الغالب زي ما قلت قبل كده هم مسلوبو الإرادة لأنهم مرضى نفسيين أو بيعانوا من بعض الأمراض النفسية نتيجة الضغوط الحياتية .